

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٢

الرائد

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشرف

محمد الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
ت رقم ٤٧٢٩٠ ، ٥٢٤٥٥

العدد ٢٠٢ القاهرة في يوم الاثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ١٧ مايو سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

مصطفى صادق الرافعي



١٨٨٢ - ١٩٣٧

شديد على الرسالة
أن تنعى الرافعي إلى
ديار الحنية وأقطار
العروبة بدل أن تزف
إليها كمادتها درة من
غوص فكره وآية
من وحى قلبه
وعزيز على هذا القلم
أن يتقطر سواده على
الرافعي وهو نوره في
مداده وسنده في جهاده

وصديقه في شدته وعظيم على العالم الأدبي أن يرزأ في الرافعي
وهو الطريقة المثلى لغاية الناشئ ، والمثل الاسمي لطموح
الأديب ، والحجة العليا على قصور القاصر
يا لله ١١ أفي لحظة عابرة من صباح يوم الاثنين الماضي
يلفظ الرافعي نفسه في طوايا الغيب كومة البرق لها الليل ،
قطرة الندى شربتها الشمس ، وورقة الشجر أطاحها الخريف ؛
ثم لا يبقى من هذا القلب الجياش ، وهذا الشعور المرفف ،

فهرس العدد

صفحة	
٨٠١	مصطفى صادق الرافعي . . : أحمد حسن الزيات
٨٠٢	كتاب الارشاد إلى فلسفة الجراد : الدكتور طه حسين بك
٨٠٤	ظاهرة وتطبيقات . . . : الأستاذ أحمد أمين
٨٠٦	لب الطاولة . . . : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٨٠٨	مصر والامتيازات الأجنبية . : بقلم باحث دبلوماسي كبير
٨١٢	أنا . . . : الأستاذ علي الطنطاوي
٨١٥	نحية للرافعي . . . : الأستاذ منصور لمهي بك
٨١٦	التاريخ في الأدبين العربي { الأستاذ هري أبو السعود والانجليزي . . .
٨١٨	الحياة والمعيشة الدرزية . . : السيد محمد خالد طاعنا
٨٢٠	إلى الأستاذ المازني . . . : الأستاذ محمود تيمور
٨٢١	الرافعي . . . : الأستاذ محمود محمد شاكر
٨٢٢	الفلسفة الشرقية . . . : الدكتور محمد غلاب
٨٢٤	مكفأ قال 'درادنت . . . : الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه
٨٢٦	السياسة والروح العام . . . : الأستاذ محمد فريد أبو حديد
٨٢٦	جمعية الانبعاث القومي . . . : سيد صوبس
٨٢٧	عبرة الشباب من حفة التتويج
٨٢٨	قصة المكروب . . . : ترجمة الدكتور أحمد زكي بك
٨٣١	ليوناردو دافنشي . . . : الدكتور أحمد موسى
٨٣٣	الفن المصري في حاجة إلى الرقابة - مؤتمر القلم الدولي وبرنامج
٨٣٤	استعمار المناطق القطبية - جوائز أدبية أمريكية .
٨٣٥	بحث عن البناء - موقع طروادة - الخطابات الففل .
٨٣٦	لسماعيل المقترى عليه . . . : الأستاذ النسي

وذلك الذهن الولود، إلا كما ينبغي من النور في العين، ومن السرور في الحس، ومن الحلم في الذكاء ١١

كان الرافعي يكره موت العافية فأتته به : أرسل إلى قبل موته الفاجي بساعات كتابه الأخير يشكو فيه بعض الوهن في أعصابه، وأثر الركود في قريحته ؛ ويقترح على نظاماً جديداً للعمل يجد فيه الراحة حتى يخرج إلى المعاش فيقصر جهده على الأدب ؛ ثم يسرد في إيجاز عزائم ونواياه، ويعد المستقبل البعيد بالاتجاه الحصب والنثر المختلف؛ ويقول : « إن بنيت الوثيقة وقلبي القوي سيتغلبان على هذا الضعف الطارئ فأصمد إلى حملة التطهير التي أريدها ... »

كتب الرافعي إلى هذا الكتاب في صباح الأحد، وتولى القدر عنى الجواب في صباح الاثنين : قضى الصديق العامل الآمل الليلة الفاصلة بين ذينك اليومين على خير ما يقضيها الرخي الآمن على صحته وغطته : صلى العشاء في عيادة ولده الدكتور محمد ؛ ثم أقبل على بعض أصحابه هناك فجلا عنهم صدياً الفطور بحديثه الفكه ومزحه المذهب ؛ ثم خرج فقضى واجب العزاء لبعض الجيرة ؛ ثم ذهب وحده إلى منزله المدينة فاستراض فيه طويلاً بالمشي والتأمل ؛ ثم رجع بعد موهن من الليل إلى داره فأكل بعض الأكل ثم أوى إلى مضجعه

وفي الساعة الخامسة استيقظ فصلى الفجر وهو يجد في جوفه حزة كانت تعتاده من حوضة الطعام . فلما فرغ دخل على ولده الطبيب فسقاه دواء، ثم عاد فنام . وهب من نومه في منتصف الساعة السابعة، وخرج يريد الحمام فسقط واحسرتاه من دونه سقطة همد فيها جسده فلا صوت ولا حركة ! وذهب الرافعي ذو اللسان الجبار والذكر الدوار والآثر المنتشر، ذهاب الحباب كأنه لم يملأ مسامع الدهر، ولم يشغل مدارك الناس زهاء أربعين سنة !

كان آباء الرافعي شيوخ الحنفية في مصر، تولوا قضاءها وإفتاءها وإقراءها حقبة طويلة من الدهر ؛ فدرج هذا الناشء الصالح في حجور أربعين قاضياً من قضاة الشريعة كانوا من أهل بيته، وقد نوه بهم اللورد كرومر في بعض تقاريره . وكان أبوه الشيخ عبد الرزاق الرافعي قد جرى على أعراق هذه الأسرة

الكريمة من ورع القلب وصحة الدين وسلامة الضمير ؛ ثم تميز في قضائه بمرارة الحق وصلابة الرأي وثبات العقيدة، فجاء مصطفى في كل ذلك صورة أسرته وسر آييه

لم يذهب الرافعي إلى الأزهر، فقد كان في أزهر من قومه ؛ وإنما نشأ في مغداى ومراحي بين طائفا والمنصورة أفندياً يتلقى معارفه الأولى بمدرسة الفرير، ويتخرج في علوم اللسان والشريعة على آييه، حتى حذق العربية وفقه الدين وثقف الأدب وأصبح فارساً في الحلبيين ولما بعد العشرين . فلما بلغ ربيع العمر ختم الله على سمعه بالصمم الشديد، فكان منذ شبابه الأول بنجوة من لغو الناس ولغو المجتمع، فسلم عقله من السخف، ويرى ذوقه من التبذل؛ وعاش في عالم الخيال ودنيا الكتب، فاتسع أفق تفكيره، وارتفع مقياس فنه. وظلت طبيعته البشرية على الكهولة نقية حرة كطبيعة الفتى الشاب، فيها الغضب الحاد، والرضى الهش، والدلال المتعظم، والهوى الجريح، والفتوة الآلية . فهو يخلص في الحب ويصدق في البغض، فلا يداور ولا يدارى، ولا يحقد ولا يحسد .

عملت في الرافعي عوامل الوراثة والبيئة والدراسة والمهارة ؛ وانفق له من كل أولئك ما لم يتفق لغيره، فكان أفقه العلماء في دينه، وأعلم الأدباء بلغته، وواحد الأحاد في فنه . والدين واللغة والأدب هي عناصر شخصيته وروافد عقلية وطوايع وجوده . لذلك كان يحفظ الرأي شاهد الحس لما يعلق بثلاثتها من أباطيل وشبه . وعقريات المضطيق إنما كانت تنزل على قلبه المرسل حين تمتد الأفيكة إلى كتاب الله أو إلى لغة العرب أو إلى أدب الرافعي

الرافعي أمة وحده، لها وجودها المستقل وعالمها المنفرد ومزاجها الخاص . وأكثر الذين كرهوه هم الذين جهلوه : كرهه الأدباء لأنه أصحّر لهم بالخصومة فانفرجت الحال بينهم وبينه . وكرهه المتأدبون لأنه رفع مقياس الأدب فوسمهم بالعجز عنه . وأنكره العامة لأن الأمر بينهم وبينه كالأمر بين العمى والنور ! إنما يحب الرافعي ويكيه من عرف وحي الله في قرآنه، وفهم لإيجاز الفن في بيانه، وادرك سر العقيدة في إيمانه .

ذلك بعض الرافعي الإنسان ؛ أما الرافعي الفنان فوجدك به خمود الحزن وانكسار المصيبة .

محمد حسن الزيات

كتاب الارشاد

إلى فلسفة الجراد

للدكتور طه حسين بك

ميد كلية الآداب

صديق العزيز المجهول اسماعيل بن زيد حفظه الله وأكثر من أمثاله .

تحية طيبة تلتاقك حيث كنت ، فاني لا أعرف أين تكون ، كما أني لا أعرف من تكون .

أما بعد فقد قرأت كتابك في (الرسالة) منذ أيام ، ولست أدري أين ظفريه صديقنا الدكتور عوض ، فاني لم أتلغه قبل نشره ، ولوقد وصل إلى لما أبطأت في الرد عليك برغم كثرة العمل واشتغال النفس بأشياء يراها الناس خطيرة بعيدة الأثر في حياة الأفراد والجماعات ، وأراها أنا كما تراها أنت أهون شأنًا وأقل خطراً من صيد الضفادع ، وتثقيف الجراد ، واستخراج أشعة الشمس من قشر الخيار . وأكبر الظن أنك رجل رؤوف بالأصدقاء شقيق على الاخلاء خطر لك أن تستفتيني فيما عرض لك من الأمر فسطرت كتابك ومهمت بارساله إلى ، ثم عرفت أني مجهود مكثود فرحتني ورفقت في وأجلت إرسال كتابك إلى حتى ينقضي العام وأفرغ لمثل هذه الموضوعات الجليلة القيمة . ولكن كتابك وقع إلى صديقنا عوض على أي نحو من هذه الأنحاء التي تقع بها الكتب إلى الناس أو يقع بها الناس على الكتب . وعرض رجل فيه مهارة العفاريات ولباقة الشياطين اكنسهم ما في أكبر الظن من ترجمته لقصة فارست ومن طول عشرته لشيطان الشاعر الألماني العظيم . فلم يكدهم الكتاب إليه ، أو لم يكدهم هو يقع على الكتاب ، حتى أسرع به إلى الرسالة يكيد بنشره لك ولي جميعاً .

يكيد لك لأنه يحسب أن الناس سيضحكون حين يظهرون على هذه الموضوعات القريبة التي تفكر فيها وتنطق في درسها وقتك وجهدك ، ويكيد لي حين يطلب إلي باسمك على ملاء من قراءة الرسالة أن أبوب لك الكتب التي تريد أن تضيعها في هذه الموضوعات . وليس عوض شيطاناً ولا عفريتاً ولا مترجماً لفوست ولا معاشراً طويل العشرة لمفتو قليس اقضى يومه اوليله دون أن يجد ويكيد ليغيط إنساناً من الناس ويعبت بصديق من الأصدقاء ، وأحسبه إن أعياء الظفر بمن يغيطه أو يعبت به لا يتردد في أن يغيط نفسه أو يعبت بها ، وله في الحظيئة قدوة سيئة وأسوة قبيحة . ولا بد من أن يوجد في الأرض من يدعو الناس إلى الشر ويدفعهم إلى البغي كما

يوجد في الأرض من يدعو الناس إلى الخير ويهديهم إلى البر والرشاد . وقد هممت أيها الصديق العزيز المجهول أن أعرض عن هذه الرسالة التي لم أتلغها أو أن أوجل الرد عليها كما أجلت أنت إرسالها ولكني - ولا أكذبك - لم أكذآتم قراءتها حتى استرحت إليها ونعمت بها لأنها صادفت هوى في نفسي ولامت بعض ما كان يضطرب في رأسي من الخواطر والآراء . فلم أجد بدا من أن أرد عليك في (الرسالة) لاني لا أعرف عنوانك ، ولاني قرأت كتابك في الرسالة وتلقيته من طريقها ، ولاني لا آمن هذا العفريت الذي نسميه عوضاً ونكل إليه تعليم الجفرلينا في كلتين من كليات الجامعة أن يناها بقليل أو كثير من التبديل والتغيير ، وأنت تعلم أن من العسير جدا أن أجيبك في فصل واحد إلى تبويب هذه الكتب الأربعة التي ألفتها غير مبوبة ، فذلك يحتاج إلى وقت وفراغ لا أملكهما في هذه الأيام أيضاً ؛ وذلك يحتاج بعد هذا إلى مكان من الرسالة قد لا تستطيع أن تخصصه لنا دون أن تظلم واحداً أو اثنين من كتابها الأدباء . ولست أذكر الرفق بالقاري ولا الترفيع عليه ، فالقاري آخر من أفكر فيه ؛ وليس يعني أن يغضب أو يرضى ، وليس يعني أن يقرأ أو يعرض عن القراءة ، فاني لا أكتب له وإنما أكتب لك . وأنا لا أكتب له لأن هذا الموضوع أصعب وأدق من أن يكتب للقراء ؛ وإنما يكتب للقراء في فلسفة أفلاطون وأرسططاليس ونيثشة وأمثالهم من أصحاب العقول الجبارة ؛ فأما فلسفة الجراد فانها العلف وأخفى وأرق من أن تبلغها عقول المثقفين أو تنفذ إليها بصائر المستعيرين ؛ لهذا أفكر فيك أنت ولا أفكر في القراء ؛ ولو فكرت فيهم لما كتبت شيئاً ، لاني لا أحب أن القاهم بما يكرهون . لا سبيل إذن إلى أن أتحدث إليك في هذه الموضوعات الأربعة التي ألفت فيها كتباً غير مبوبة ، وإنما أتحدث إليك في موضوع واحد منها أختاره ليكون نموذجاً لغيره من الموضوعات التي ألفت فيها والتي يمكن أن تؤولف فيها ؛ فان أبيت إلا أن أبوب لك هذه الكتب الأربعة قد نستطيع أن نصنع ذلك في مجالس خاصة نلتقي فيها بين حين وحين لهذا العمل الجليل ، نلتقي فيها لتحدث على مهل وفي حرية دون أن يشاركنا في الحديث هؤلاء القراء الذين لا نأمنهم أن يذهبوا فينا المذاهب وأن يطلقوا فينا اللسنة وأن يظنوا بنا الفنون . وقد اخترت تعلم الجراد أصول الفلسفة موضوعاً لهذا الحديث . وأول ما لاحظته أيها الصديق العزيز المجهول أنك أهملت عنوان الكتاب الذي ألفتة إهمالاً شديداً ، وأكبر الظن أن إهمالك للفنون هو الذي حال بينك وبين تبويب الكتاب على ما تحب . ولست أدري أصبح ما قال القدماء من أن الكتاب يعرف

ظاهرة وتعليلها

للاستاذ أحمد أمين

أعرفه غزير العلم واسع المعرفة، ولكنه يأتي أن يجالس أمثاله من العلماء، ولا يلذه إلا أن يجالس لفيماً من صغار الناس في مهنتهم وعقليتهم؛ وليس الشراب هو الذي يجمعهم ويؤلف بينهم كما هو الشأن في كثير من الأحيان.

وأعرفها فتاة على جانب من الجمال، ولكنها لا تؤمن بجمالها، لأن أهلها أدخلوا في روعها من صغرها أن الجمال في البياض والحرمة والشعر الأصفر، وهي سمراء شديدة السمرة وليس في وجهها حمرة ولا في شعرها صفرة، فهي في اعتقادها ليس لديها من الجمال شيء، وأراها تصاحب فتاتين ليس فيهما من الجمال شيء، وتأتي أن تصاحب جميلة، وخاصة إذا كان جمالها في لونها الأبيض المشرب بحمرة.

وأعرفه فناناً كبيراً، ولكنه يأتي أن يجالس الفنانين الكبار أمثاله ويفضل أن يجلس إلى مبتدئ الفن يعلمهم ويصلح من أخطائهم، وهم من جانبهم يملقونه، ويفيضون عليه من ألقاب الشناء ما يملؤه غبطة وسروراً.

وأعرف عشرات من هذه الأمثلة أشاهدها كل يوم، وأسمع بها كل حين وأقرأها في وصف كثير من الرجال والنساء، فاسرها؟

سرهما عندي أن من طبيعة الإنسان أنه يكره «الضعة»، ويكره كل ما يشعره بالضعة، ويحب العظمة ويحب كل ما يشعره بالعظمة.

من أجل هذا تراه — في العادة — يكره أن يجالس من هو خير منه في علمه وفنه وأدبه، لأن ذلك كله يشعره بصغر نفسه؛ وهو أقل كراهية لمجالسة من هو مثله، لأنه لا يحبط من شأن نفسه؛ وهو أشد حبا لمجالسة من دونه لأن ذلك يجعله أكثر شعوراً بعظمة نفسه.

ويمكن تطبيق ذلك على كثير من الأحداث اليومية

والمشاهدات المألوفة. ألت تری أن «حلبة الكمیت»، أو جمعیة الشراب تکره کل الکراهیة أن یكون بینهم وقت شرابهم من لا یشرب، ویستقلونه مهما ظرف، ویستسمجونه مهما لطف، لأنه یدکرهم بالفضیلة حین ارتکابهم الرذیلة، ویشعرهم بأنهم الرضعا وهو الرفیع، وأنه العین الناقدة وأنه الرقیب علیهم، وأنه العاد لسقطاتهم، وأنه المحتفظ بقوة إرادته عن ضعف إرادتهم؟ کل هذا یشعرهم بالضعة فیکرھونه، ویبدون بالالاحاح علیه أن یشرب لا حبا فيه ولكن حبا لأنفسهم، وإبعادا لشعورهم بضعتهم، ولا یزالون یستحلفونه حتی إذا نجحوا أمنوا الشعور بالضعة، وإذا فشلوا مقتوه ومقتوا جلوسه بینهم، لأنه نفص علیهم بهجتهم — ومن أجل هذا أیضا أحبوا أن یسمعوا أدب الخمر، وأحبوا أن یسمعوا من یفلسف لهم الحیاة وأنها لیست إلا متعة الساعة وشهوة الوقت. فان تجاوز المحدث ذلك إلى أنه لا یعبأ بحرام ولا حلال، وأن یقول كما قال أبو نواس:

فان قالوا حرام قل حرام فان لذاعة العیش الحرام فذلك عندهم أظرف وأفکة لأنه اجثث الشعور بالضعة من جنوره.

هذا هو سبب العداء دائما بین الفضیلة والرذیلة أو بین الفاضل والرذل، وهذا هو السبب فی أن الرذل یکره الفاضل أكثر مما یکره الفاضل الرذل. لأن الرذل هو الذی یشعر بالضعة من روية الفاضل.

وهو السبب فی أن الفقیر یکره الغنی أكثر من کره الغنی للفقیر. لأن الفقیر هو الذی یشعر بالضعة إذا قاس نفسه بالغنی وكثیرا ما یكون سیئا فی فساد الحیاة الزوجیة، أن تكون فی أحد الزوجین صفات راقیة لیست فی الآخر، فیشعر هذا الآخر بالضعة عند قیاس نفسه بنفس قرینه فتسوء الحیاة ویجهل السبب.

بل أرى أن فی هذا القانون تفسیرا لكثیر من الرجال والنساء الذین یحبون العزلة وینفرون من الناس.

وقل أن ترى ذلك في الفضيلة ، فالصدق قل أن يؤلف بين اثنين لصدقهما ، ولا العدل إلى العدل ، ولا الصريح إلى الصريح والسبب في هذا أن ذوى الرذيلة يشعرون بالضعة من رذيلتهم فيهربون إلى الأراذل مثلهم حتى يتجردوا من هذا الشعور ؛ أما الشعور بالعدل أو الصدق فليس فيه هذا الألم فلا يحتاج صاحبه إلى البحث عن مهرب - وهو السبب في احتياج أصحاب الرذيلة إلى غش ، فجرة المقامرة مستورة ، ومجلس الشراب في غش ، والغزلون يستترون ، وعال الحشيش والكوكابين في حرز الخ ، وليس السبب في ذلك فقط أن رجال الأمن يطاردونهم ، بل أكاد أوقن أن هذه الأمور لو أبحث من رجال الأمن لتستروا أيضا لأنهم يريدون أن يهربوا بأنفسهم من الشعور بالضعة أمام من لم ينغمسوا في الرذيلة انغمسهم

أست ترى معي أن الرجل الملتزم للأخلاق المتشدد فيها أقل الناس أصدقا وأشد الناس وحشة ، وكلما اشتد في تزمته اشتد الناس في كراهيته ، وأن الرجل كلما سما عقله بعد عن الناس وبعدها عنه ، وأنهم قد يجلونه ولكن لا يحبونه ، لأن سموه إعلان لضعفهم ، وعلموه رمز لضعفهم ؟ ولعل كثيرا من صفحات التاريخ المملوءة باضطهاد العظماء ، وقتل النبلاء ، واغتيال الأبطال ، تستروراه هذا السر الكامن الخطير ، وهو أن الاضطهاد والقتل والاعتقال كان سيه الخفي شعور المدبرين بضعفهم أمام هؤلاء العظماء فتخلصوا من الشعور بالضعة بالقضاء على من كانوا سيه - فلما انمحوا من الوجود كان لا بأس عند من قتلهم أن يمجدهم ، وأن تمجدهم القرون بعدهم ، لأن الحقيقة الواقعة أشد إشعارا بالضعة من الذكرى الماضية

وبعد فلا يستطيع الناس أن يتغلبوا على هذه الرذيلة وأن مجلس عالمهم إلى من هو أعلم منه ، وفنانهم إلى من هو أفن منه ، وفاضلهم إلى من هو أفضل منه ، يستفيد منه ويأخذ عنه في غير حقد ولا ضغن إلا بكثير من مجاهدة النفس وهيئات ثم هيئات

أحمد أمين

تفسير هذا أنهم يشعرون بنقص فيهم من ناحية من النواحي الخلقية أو العلية أو الاجتماعية

كأن يشعروا أنهم لا يحسنون حديث المجالس ، أو أن في جسمهم عاهة من العاهات ، أو أنهم إذا جودلوا أحموا ، أو إذا نيل منهم لم يستطيعوا أن يأخذوا بحقهم . فتراهم يفضلون العزلة ويتغنون بمدحها ، ويصبون جام غضبهم وسخطهم على الناس ويطنون في ذم الأخلاق وسوء المجتمعات - والسير وراء ذلك كله ، وهو نقص في حب العزلة جعله يشعر بضعة نفسه في المجتمعات ؛ وهو يكره الضعة ويكره كل ما يسببها ، وهو لا يحب أن يلوم نفسه وهي السبب ، لأن في هذا ضعة أيضا ، فيلوم الناس ويلوم المجتمعات ، ويكون مثله مثل من عجز من أن ينتقم من عدوه ، فانتقم من صديقه

أندري السبب في أن الشباب لا يودون كثيرا أن يجالسوا آباهم ولا إخوتهم ولا أقرباهم ويفضلون - غالبا - أن يجالسوا الغرباء ؟

هو أيضا - هذا القانون ، فإن آباهم وإخوتهم وأقرباهم يعلمون نشأتهم وكل شيء فيهم ، وكل شيء حولهم ، وفي ذلك عيوب عرفوها ، وزلات وقعت تحت أعين الآباء ومن إليهم ، فالشباب يشعر بهذا التاريخ كله إذا جلس إليهم ، وهذا يشعره بالضعة . فهو يفضل عليهم صداقة الغرباء ، لأنهم يجهلون تاريخه ، ويجهلون زلاته فهو عندهم لا يشعر بنقص ، ولا يشعر بضعة ، فكان إليهم أميل ، وبهم آنس ؛ والمثل العربي يقول : برق لمن لا يعرفك ، ومعناه تبجح وهدد من لا يعرفك ، لأن من عرفك لا يعاب بك

لقد كان لي أستاذ في سن الخمسين وكان جلساؤه أقلهم في سن الستين ، فسألته في ذلك فقال : إني اخترتهم لأنني أشعر وأنا معهم أني شاب

بل هذا هو السر في أن الرذيلة في كثير من الأحيان توثق الصداقة بين أصحابها ، فالمقامر أقرب إلى صداقة المقامر ، ومدمن الخمر إلى مدمنها ، والغزل إلى الغزل ، واللص إلى اللص ،

لعب الطاولة

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ليس لي شغف بالألعاب ، فان حياتي كلها لعب ؛ فما حاجتي إلى لعبة معينة على الخصوص . ولكن لي إخواناً ألقاهم في حيث ألفوا أن يكونوا — أي في القهوات — وليس من العدل أن أكرهم على أن يلقوني في حيث أحب أنا وأوثر . ولأن ينتقل واحد إلى جمع أيسر من أن ينتقل جمع إلى واحد . ولست أعرف عملاً لرواد القهوات إلا أن ينظروا إلى المارة وهم مقبلون ومدبرون فاذا اتفق أن كانت الصفوف الأمامية مزدحمة ولا محل لطالب الجلوس إلا في الداخل ، فاذا يمكن أن يكون عمله إلا قراءة الصحف — إذا كان وحده — أو تدخين « الشيشة » — أو كما تسمى أيضاً « الأرجيلة » و « الترجيل » — ولعب الطاولة أو الشطرنج أو « الدومينو » فأما الشطرنج فيحتاج إلى عقل يكده اللاعب ، وهو لم ينجى إلى القهوة ليتعب بل ليتسلى . وأما « الدومينو » فأقربها الحساب ، فلم يبق إلا الطاولة يفتحها الصديقان ويقبلان عليها ليخرجا بها من الصمت الثقيل ، وليختصرا الوقت الذي يرباه أطول من أن يحتمل وإن كانت شكواهما — كغيرهما — أن العمر في هذه الدنيا قصير ، أو ليتقيا الحديث في أمر نافع أوجدى . ولم أجد إلى الآن لاعباً للطاولة أستريح إلى منازلته ، وأفيد متعة من ملاعبته ، فهذا واحد لا يحلوه أن يروى لك قصة حياته إلا وهو يلعب أو تكون قد حسنت وكبر أملك في الفوز ، فتضطر أن تضطجع وتصفى ، أي أن تدع حماسك تفترودمك يبرد . وليته مع ذلك بقص حكايته ويفرغ منها فان البلاء أنه يقطع الحديث ويقول لك : « دوري يا سيدي . شيش ييش .. خذ ، ويلقي إليك حجراً مضروباً ، أو يضعه لك في كفك تأكيداً لا غلباطه بسوء حظك . فتسنى لو وسعتك أن تقذف بالحجر .. فلا أنت سمعت القصة ، ولا أنت مضيت في اللعب بالروح التي كانت مستولية عليك . وليس هذا لعباً

وإنما هو .. هو .. لا أدري ماذا أسميه ، أو كيف أصفه ، فقل أنت فيه ما تشاء !

وثان لا يلاعبك إلا برهان ، وهذا ضرب من القمار لا أطيعه ، وقد حاول كثيرون من إخواني أن يعلموني لعب الورق فأخفقوا — أو أخفقت أنا على الأصح — وماذا عندي مما يمكن أن أقامر به غير حياتي ؟ وأقول لصاحبي — هذا قمار فالعب بغير رهان ، فيقول : « قمار ؟ استغفر الله . هذه تسلية . زيادة تصلح بها روح اللعب ، فيصبح أحى وأمتع فأصر وأقول « كلا . إذا أردت اللعب فليكن بغير رهان ، فلا ينهزم ويقول « قرش واحد ! ، فأقول : « ولا ملهم ، فيهر رأسه أسفاً ويقبل

ونشرع في اللعب ويتفق أن يوثابه الحظ فيضيق على الخناق ويعظم أمله في النصر فيميل على الطاولة ويقول « مارأيك ؟ . هذا الدور لي أم لك ؟ ، فأدير عيني في مواضع الحجارة فلا أرى داعياً للباس فأقول « إن أرجو أن يكون الدور لي ، فيقول « حسن .. ترامن ؟ ، فأقول محتجاً « رجعتنا ؟ ، لا يا سيدي ، فيقول « إذا كنت واثقاً من الفوز ، فاذا يمنعك أن ترامن ؟ ، فأقول « لست واثقاً .. ثم إن الأمر عندي مرجعه إلى كراهتي للقمار ، لا للخوف من الخسارة . فيتهدد أسفاً على الفرصة التي أضعتها عليه يبلادتي وجمودي

وثالث لا يترك الأمر للحظ كما هو الواجب في لعبة كهذه بل « يقرص كما يقولون — أي يسوى ، « الزهر ، واحداً فوق الآخر ثم يلقيهما برفق وتؤدة لتجني الأعداد أو الأرقام التي يطلبها ، وهذا شيء لا يليق لأن مؤداه أن ملاعبك قد وثق من الفوز بالغة ما بلغت قدرتك ومهارتك وبراعتك في اللعب . ولا أدري أية متعة يستفدها المرء من « القرص » ، إلا إذا كانت المتعة هي التفتيش عليك

وأعوذ بالله من لاعب لا يزال يحوجك إلى النهوض عن كرسيك لتبحث عن « الزهر » الذي قذف به لا تدري أين وتمضي دقائق في البحث والتحديق — وأنت منحن — تحت الكراسي وبين أرجل الناس الذين لا تعرفهم . وكثيراً ما يتفق أن يكون « الزهر » الضائع في طية البطون . وليس بالنادر

وستة . ويزعم أنه جاء بالحجر من هنا وهو قد جاء به من آخر الدنيا ، وتراه « أكل » أربعة ، فتنتظر إليه عاتباً فينتقم ، ولا يتلثم ، ويرفع بين أصبعيه حجراً ويقول لك « والله ما أكلت إلا واحداً فقط ، فلا تستطيع أن تقول له إنه كاذب ويعيبك أن تدرك الباعث على هذه السرقة في لعبة يراد بها التسلية وترجية الوقت ليس إلا .

وأحياناً يحلو لصاحبك أن يمازحك ... ولكن أى مزاح فيتلف لك أعصابك ويظير عقلك ... لأنه يزيغ بصرك بكثرة عبثه « الطريف » . ويا ويلك من يغضبه أن يرى نفسه مشفياً على المزيمة فيعيث يديه في الحجارة ويفسد نظامها وترتيبها ، ويغلق الطاولة في وجهك ، ثم يوليكَ ظهره أو جنبه ، ويضع رجلاً على رجل - أعنى ساقاً على ساق - وهو لا يبرطم بما لا يسرك أن تسمع ، وقد ينهض ويتركك بلا كلام أو سلام ومن بلاء الطاولة أنها تجمع عليك الناس ، ويندر أن يكونوا ممن تعرف ، فترام قد التفوا بك - والبعض جالس والبعض واقف سينظرون ولا يسكتون ليهون احتمالهم ، بل يستجيدون لعبك أو يستضعفونه ، بصوت مسموع ، وقد يراهنون عليكاً كما تنما أتما جوادان في ميدان السباق ...

فتسمع أحدهم يقول « أنا أخط على هذا (ويشير إليك فما يعرف اسمك) ريالاً ... تجي يا الفريد ؟ »

فتسمع الفريد يقول « يكفي نصف ريال ... »

فيلتفت الأول إلى غيره ويقول « تجي يا جاك ؟ »

فيمط جاك بوزه ويقول : « لا ما يستاهل »

فتعلم أنك لا تساوى ملماً في رأى جاك ، وأنتك من الجياد التي لا تستحق المخاطرة عليها بمال ولو قل .

ومن المستحيل أن يستطيع أحد أن يصف لعب الطاولة ، وكيف كسب دوراً أو خسر « ولكن بعضهم يتكلف ذلك ويحاوله ويقول لك كلاماً لا يمكن أن تفهم منه شيئاً ، أو تعرف له مدلولاً . وأمثال هذا ليس من سوى اللحاح في المقاطعة ، واللجاجة في اسكاتهم بما أقول أنا . يبدأ الواحد منهم وصفه الذي لا يصف شيئاً فأشعر - سلفاً - أن رأسى تحطمت فأقول « اسمع ... حدث أمس شيء غريب ،

ألا تجده لا أنت ولا صاحبك فتصفق ليجيئك عامل القهوة « زهر ، جديد . وقد يكون العامل سجعاً أو قليل العقل فيروح يبحث أولاً ، وتنقضي دقائق أخرى وأنت تتبعه بعينك . ثم يجي « الزهر » الجديد فيتناول صاحبه - لأن هذا دوره - ويقبله في كفيه ويقول « لا . هذا كبير . » أو لا . هذا صغير « فيضيق صدرك وتقول ، يا أخى العب . كله زهر ، وتستأنفان اللعب فتزهق روحك لأن صاحبك ممن يأبون إلا أن يقدرُوا كل احتمال ، ويحسبوا كل حساب ، ويحتاطوا لكل أمر ، كأنما صار مصير العالم رهناً بهذه اللعبة ، فينفد صبرك وتقول له « يا أخى العب ، فيقول ، حهلك يا سيدى .. بقى إن سجننا هذا « القشاط » ؟ . من يدري ؟ . ربما ضربنا وعطلنا . طيب .. وإذا خرجنا فماذا يكون ؟ . والله هذا أحسن .. أقول لك .. نتظر ولا نخرج .. نسد عليه هنا .. لا والله .. الخروج أحسن .. لكن يمكن مساعدته الحظ فإذا يكون العمل ؟ » وهكذا إلى غير نهاية

وشر من هذا الذي يعقب على كل لعبة منك بالاستحسان أو الاستهجان ولا ينفك يقول لك « كان أولى أن تصنع كيت وكيت ، فتقول « ومالك أنت ؟ أنا المستول عن لعبي وأنا الذي يخسر لا أنت ، فيقول « لا يا سيدى ، المسألة هي أن اللعب مع غير الحاذق لالذة فيه ،

وقد لا يكتفى بالتعليق والتعقيب بل يحاول أن يلعب لك لعبك ، ويردك عما تريد ، أو ماتهم به ، من تنقيل الحجارة على الوجه الذى يبدو لك ، وينقلها هو لك على هواه وأولى بمثل هذا أن يلعب نفسه ، ولكن لذته هي أن يفرض عليك إرادته ، مدعياً أن هذا هو ما يقضى به الفن ، وأن الغيرة على الفن لا تسمح له بالتساهل ، ويتركك تخطط وتغلط وتحالف الأصول .

وآه لو وقعت مع واحد من المبتدئين لا يزال يعد - ويشير أيضاً - بأصبعه في كل لعبة .. وآه وآه وآه - ثلاث آهات طويلة تمتد بها النفس إلى الليلة التالية - من المغالط الذى يدعى أن الرقم خمسة وأربعة ، على حين رأيتك بعينيك ثلاثة

في التاريخ السياسي

مصر والامتيازات الأجنبية

كيف ألغيت الامتيازات في مونترو

بعد أربعة قرون على قيامها

لباحث دبلوماسي كبير

انتهت المفاوضات التي تجرى بين الحكومة المصرية وبين الدول منذ الثاني عشر من شهر ابريل في مونترو - في مسألة إلغاء الامتيازات الأجنبية بعقد اتفاق جديد بين مصر والدول حققت فيه مصر أميتها الكبرى، وهي إلغاء الامتيازات الأجنبية. والامتيازات الأجنبية التي وقعت مصر إلى إلغائها في

مونترو هي من تراث الدولة العثمانية الذاهبة، وترجع إلى أوائل القرن السادس عشر، حينما بدأ السلطان سليمان بعقد معاهدة مع فرانسوا الأول ملك فرنسا، منحت فيها للرعايا الفرنسيين الذين يقيمون في أراضي الدولة حقوقاً ومزايا خاصة؛ واستطاعت معظم الدول الأوروبية بعد ذلك أن تحصل تباعاً من سلاطين تركيا على منح مماثلة لرعاياها؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كانت هذه الامتيازات التي اتخذت منحها في البداية صورة التفضل والمنحة الاختيارية قد غدت بالنسبة للأجانب حقوقاً مكتسبة تغل سلطة الباب العالي نحو الأجانب في كثير من الشؤون المالية والقضائية

ولما كانت مصر بحكم خضوعها للدولة العثمانية في تلك العصور تخضع لنظام الامتيازات الأجنبية الذي ين في جميع الأراضي التابعة للدولة، فقد بقي هذا النظام سارياً فيها حتى بعد أن حصلت على استقلالها في عصر محمد علي، ولم تستطع أن تتحرر منه بعد أن رسخت جذوره على كرا العصور وغدا معقلاً لرعايا الدول الممتازة يحتمون به، ويتمتعون في ظله بكثير من الحقوق وضروب الاعفاء القضائية والمالية وكانت الدول تعمل تباعاً على توسيع هذه الحقوق والامتيازات حتى غدت في النهاية عبئاً ثقيلاً على كاهل مصر

فيقول «وبعد ذلك ضربته وهربت وسددت عليه ... فأقاطعته وأقول «كنت راكبا الترام رقم ٧٠ (وليس ثم ترام بهذا الرقم ولكن هذا لا يهم لأن المراد هو أن اتكلم بأى كلام والسلام) فجاءت فتاة صغيرة لا شك انها من تلميذات المدارس فقد كانت تحمل حقيبة ...

وأسكت لأخذ نفس، فيغتم الفرصة ويقول «ثم ياسيدى بدأت الاكل ... أكلت ... أكلت ... فأعود الى المقاطعة وأقول «وكان الترام مزدحماً فوقفت لها لتجلس في مكاني ..

الأدب واجب، أليس كذلك،

فيقول «وظللت آكل حتى ...

فأسرع فأقول «فشكرتني بركة . الحقيقة انها فتاة مؤدبة . هنا حدث شيء عجيب فقد وقف الترام في محطة اختيارية من غير أن يطلب ذلك أحد من الركاب ولا من الواقفين على الرصيف،

ويشعر هو أن لا فائدة في محاولة التغلب على فيض طمع وينظر الى شزرا ويخرج سيجارة ويشعلها ويروح يدخن غير ملتفت الى، أو عابى بي، ولكنى لا أدعه يهملنى مخافة أن يستأنف الوصف الذي قطعته عليه، فأقول «سامع؟ حدث شيء أغرب . سار الترام بسرعة ومررنا بمحطات كثيرة لم نقف عليها لا بل وقعنا فيها كلها وأخيراً وصلنا الى الموسكى ... أعنى المغربيين ... بعد ربع ساعة من قيامنا ... أليس هذا جيلاً؟ ما قولك؟ ألا تقول شيئاً؟

فيقول «شيء بديع جداً،

فأقول «أشكرك ... ليلتك سعيدة،

فيقول وهو معبس «سعيدة،

وأنهض منصرفاً وقد نجمت من الوصف .

كلا . ان ألاعب أحداً الطاولة . واذا شاء إخوانى أن القاهم فليكن ذلك في مكان لا طاولة فيه

ابراهيم ميمى القادر المازنى

وهذا كله إلى جانب ضروب الاعفاء والحصانة التشريعية والمالية والبوليسية التي يتمتع بها الأجانب، فليس في وسع الحكومة المصرية أن تصدر تشريعاً يسرى عليهم إلا بموافقة دولهم، وفيما بعد بموافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة؛ وليس لها أن تفرض عليهم أية ضريبة إلا بموافقة دولهم، وليس للبوليس أن يهاجم منازلهم أو محالهم في المسائل الجنائية أو يفتشها إلا في حالة التلبس أو بموافقة القنصل، وليس له أن يقرر إبعاد أجنبي غير مرغوب فيه إلا بموافقة القنصلية التابع لها.

وقد كان الأمل معقوداً بأن يكون إنشاء المحاكم المختلطة خطوة موفقة في سبيل الإصلاح، وفي سبيل تخفيف الأغلال التي تحد من السيادة المصرية؛ ولكن ظهر بمضي الزمن أن المحاكم المختلطة جاءت بالعكس عبثاً باهظاً على السيادة المصرية وأنها ذهبت في أحكامها، وفي تفسيراتها القضائية وفي مزاعم اختصاصها إلى حدود غير معقولة حتى غدت أشبه بدولة داخل الدولة، وغدت حصناً للنفوذ الأجنبي، وسياباً منيعاً لحماية المصالح الأجنبية؛ وابتدعت المحاكم المختلطة نظرية الصالح المختلط، فادعت الاختصاص في كل قضية وكل نزاع فيه صالح أو شبه صالح لأجنبي، وتوسعت في تفسير كلمة أجنبي بحيث شملت كل الأجانب التابعين للدول الممتازة وغير الممتازة والرعايا المحميين وغيرهم، وأضحت رقيباً على السلطة التشريعية فيما تصدره من قوانين يراد سريانها على الأجانب مهما كان نوعها وغرضها.

وشعرت الحكومة المصرية وشعرت مصر كلها بفداحة هذه الأغلال المرهقة التي تفيد سيادتها وسلطاتها من جراء هذا النظام الشاذ الذي فرضته عليها الامتيازات الأجنبية، والذي غدا بما يسبغه على الأجانب من الحقوق والمنح الاستثنائية، وصمة في جبين الأمة تؤذي شعورها وكرامتها؛ هذا فضلاً عن كونه قد غدا بما يسبغه على سفلة الأجانب وأفاقهم من ضروب الحماية غير المشروعة، وما يمكن لهم من ضروب العيث والفساد والاجرام الدنيئة - خطراً على الأمن والنظام والصحة والأخلاق العامة. لذلك لم تلس البلاد، منذ اضطربت محركها الوطنية الكبرى أن تعتبر قيام

يحد من سيادتها في كثير من النواحي، ويعرقل حريتها وتقدمها، ويحدث الخلل والاضطراب في شئونها القضائية والمالية والإدارية. وتفاقت هذه الحالة في عهد الخديو اسماعيل ففكر وزيره نوبار باشا في مفاوضة الدول في إنشاء نظام خاص ومحاكم خاصة للأجانب، وانتهت هذه المفاوضات إلى إنشاء المحاكم المختلطة في سنة ١٨٧٥، لتختص بالفصل في قضايا الأجانب المختلطين الجنسية والأجانب والمصريين، وجعل أغلبية قضائهم من الأجانب، ووضعت لها لوائح وقوانين جديدة مستمدة من القانون الفرنسي؛ والدول ذوات الامتيازات التي عقدت مع مصر هذا الاتفاق هي: بريطانيا العظمى؛ الولايات المتحدة (أمريكا)، فرنسا، ألمانيا، النمسا والمجر، إيطاليا، روسيا، السويد والنرويج، إسبانيا، البلجيك اليونان، هولندة، الدانماركة، البرتغال.

وهذه خلاصة القواعد الأساسية لاختصاصات المحاكم المختلطة. أولاً - تختص بالفصل في المنازعات المدنية والتجارية بين المصريين والأجانب، سواء في المسائل العقارية أو المنقولة ثانياً - تختص بالفصل في المنازعات المدنية والتجارية بين الأجانب المختلطين الجنسية؛ وكذلك بين الأجانب المتحدى الجنسية في المسائل العينية العقارية فقط.

ثالثاً - إذا وجد رهن عقارى لأجنبي على عين ثابتة تختص المحاكم المختلطة بالفصل في صحة الرهن وكل ما يتعلق به ويترتب عليه.

رابعاً - تختص بالفصل في التعويضات التي يطلبها الأجانب من الحكومة المصرية عن الضرر الناشئ عن أعمال الإدارة إذا مست هذه التصرفات حقوقاً مكتسبة أو مقررّة.

خامساً - أما في المواد الجنائية فلا تختص المحاكم المختلطة إلا بالفصل في بعض الجنح والمخالفات البسيطة، وبالأخص الجرائم التي تقع على قضاة المحاكم المختلطة وموظفيها

وإلى جانب المحاكم المختلطة بقيت المحاكم القنصلية مختصة بالفصل في المواد الجنائية المتعلقة بالأجانب، وفي المنازعات المدنية والتجارية المنقولة بين الأجانب المتحدى الجنسية وفي قضايا الأحوال الشخصية، كل قنصلية بالنسبة للرعايا التابعين لها.

الامتيازات الأجنبية كارثة قومية لا تزول إلا بزوال هذه الامتيازات .

- ٣ -

ولما وقعت مصر بعد طول الكفاح إلى التفاهم مع بريطانيا العظمى واستطاعت أن تفوز منها بوثيقة استقلالها بعقد المعاهدة المصرية الانجليزية في أغسطس الماضي ، كانت مسألة الامتيازات الأجنبية ضمن المسائل الجوهرية التي تناولتها ، ووضعت قواعد خاصة لحلها .

فقد نص في المعاهدة المصرية الانكليزية في المادة الثانية عشرة على ما يأتي :

« يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن المسؤولية عن أرواح الأجانب وأمواهم في مصر هي من خصائص الحكومة المصرية دون سواها ، وهي التي تتولى تنفيذ واجباتها في هذا الصدد ، .

ونصت المادة الثالثة عشرة على ما يأتي :

« يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة .

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر في إلغاء هذا النظام دون إبطاء .

وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الشأن في ملحق هذه المعاهدة ، .

وخلاصة الملحق المشار اليه ، هو أن مصر ترمى إلى اتخاذ التدابير التي تمكنها من إلغاء نظام الامتيازات وما يترتب عليه من القيود التشريعية والمالية بالنسبة للأجانب في أقرب وقت وإقامة نظام انتقال لمدة معقولة لا تطول بلا مبرر تبقى فيها المحاكم المختلطة وتباشر الاختصاص المخول الآن للمحاكم القنصلية في المواد الجنائية والمدنية فضلاً عن اختصاصها الحالي ثم تلغى نهائياً بانتهاء فترة الانتقال ، ولتحقيق هذه الغاية تتصل الحكومة المصرية بالدول ذوات الامتيازات للاتفاق على ماتقدم . أما فيما يتعلق ببريطانيا العظمى ، فإنها بصفتها من الدول العظمى ، وبصفتها حليفة لمصر لا تعارض مطلقاً في التدابير المشار إليها . وتعد فوق ذلك بأن تعاون مصر على تحقيق غايتها

وذلك باستعمال نفوذها لدى الدول الممتازة ، فإذا تعذر وصول مصر إلى غايتها بطريق التفاهم مع الدول ، فإنها تحتفظ بحقوقها كاملة لإزاء نظام الامتيازات والمحاكم المختلطة ، أو بعبارة أخرى تصبح حرة في إلغائها من تلقاء نفسها .

وينص الملحق المذكور فوق ذلك على بعض المبادئ العامة التي اتفق على اتخاذها أساساً لوضع الاتفاق المذكور ، ومنها أن أي تشريع مصري يطبق على الأجانب يجب ألا يتنافى مع مبادئ التشريع الحديث ويجب ألا يتضمن تمييزاً مجحفاً بالأجانب ، وأن تبقى مسائل الأحوال الشخصية الخاصة برعايا الدول الممتازة من اختصاص المحاكم القنصلية لمن ترغب ذلك من الدول ، وأن يعاد النظر في القوانين الحالية وأن يصدر قانون جديد لتحقيق الجنایات .

وقد بادرت الحكومة المصرية منذ أبرمت المعاهدة المصرية الانكليزية في ديسمبر الماضي ، إلى اتخاذ الخطوات السريعة لتنفيذ هذا البرنامج . ففي السادس عشر من يناير سنة ١٩٣٧ وجهت الحكومة المصرية إلى الدول ذوات الامتيازات مذكرة أولى تدعوها فيها إلى المشور في المؤتمر الذي اعتمدت عقده للبحث في مسألة إلغاء الامتيازات الأجنبية في مدينة مونترو بسويسرا في ١٢ أبريل . وفي الثالث من فبراير وجهت إليها مذكرة أخرى تفصل فيها المبادئ التي ترى مصر من جانبها أن تتخذها أساساً للاتفاق المنشود ، وخلاصتها أن يحال اختصاص المحاكم القنصلية سواء الجنائية أو في منازعات الأجانب المتحدى الجنسية إلى المحاكم المختلطة ، وأن لا يشمل اختصاص هذه المحاكم سوى الأجانب الذين هم فعلاً رعايا الدول ذوات الامتيازات ، وأن يلغى التوسع الصوري الواقع في تفسير كلمة أجنبي وفي مسألة الصالح المختلط ، وأن يكون للمحاكم الأهلية أن تنظر في قضايا الأجانب الذين يرغبون في اختصاصها ، وأن تمتنع المحاكم المختلطة عن النظر في القضايا الخاصة بسيادة الحكومة وألا تفسر أو تفصل في صحة أي قانون أو أمر إداري ، وألا يكون هناك تمييز بين القضاة الوطنيين والأجانب في مسألة تنظيم الدوائر ورياستها ، وأن تحرر الأحكام باللغة العربية مع إحدى اللغات الأجنبية المقررة . . . الخ

وقد قبلت الدول الممتازة دعوة الحكومة وأبلغتها في

مدتها باثني عشرة عاما ، يحتفظ خلالها بالحكام المختلطة ، ويضاف إلى اختصاصها اختصاص المحاكم القنصلية في المواد الجنائية والمدنية ؛ وكذلك في مواد الأحوال الشخصية بالنسبة للدول التي ترغب في نقل الأحوال الشخصية إليها رابعا - يقتصر اختصاص المحاكم المختلطة أثناء هذه المدة على رعايا الدول ذوات الامتيازات ، وكذلك رعايا الدول الآتية : ألمانيا ، النمسا ، تشيكوسلوفاكيا ، المجر ، يوجوسلافيا ، سويسرا ، بولونيا ، رومانيا ؛ ويتناول اختصاصها الرعايا المحميين أيضا في المواد الجنائية . أما في المواد المدنية فلهؤلاء الرعايا أن يختاروا بين المحاكم الأهلية والمختلطة . وفي الأحوال الشخصية بالنسبة للرعايا الذين ينتمون إلى طوائف دينية معينة يبقى الإختصاص الطائفي . ولا امتيازات لرعايا سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن

خامسا - يحظر على جميع المصيرين أن يلجأوا إلى حماية أية دولة أجنبية

سادسا - في نهاية فترة الانتقال تلغى المحاكم المختلطة وذلك في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، كما تلغى المحاكم القنصلية ويخضع جميع الأجانب المقيمين بالقطر للمصرى للقضاء المصرى في جميع الأحوال المدنية والجنائية والشخصية

هذه هي المبادئ الجوهرية التي انتهى إليها اتفاق مونترو بين مصر والدول لحل مشكلة الامتيازات الاجنبية

ويعتبر اتفاق مونترو بالنسبة لمصر حادثا عظيما في تاريخها لا يقل في أهميته عن المعاهدة المصرية الانكليزية ذاتها ؛ وقد تحطم صرح الامتيازات الاجنبية بعد أن لبث زهاء أربعة قرون كابوسا مرهقا ، يحد من سلطان مصر وسيادتها حدا أليما ، ويجعل الأجانب سادة في أرضها ، يتمتعون بحقوق ومنح لا يتمتع بها أبناء البلاد أنفسهم . نعم أن مصر اضطرت نزولا على مقتضيات الظروف الدولية أن تقبل فترة انتقال يبقى فيها هذا النظام اثني عشرة عاما أخرى تستعد المصالح الأجنبية فيها لاستقبال العهد الجديد ؛ ولكن نظام الانتقال يعتبر بصورته التي بسطناها نظاما مخففا معقولا بالنسبة للامتيازات القديمة ، ولا يحد من السياسة المصرية حدا خطيرا ، هذا فضلا عن أن اثني عشرة عاما ليست شيئا مذكورا في حياة الأمم

الوقت المناسب أسماء مندوبيها في المؤتمر ؛ وهذه الدول هي بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والولايات المتحدة (أمريكا) وإيطاليا ، والسويد ، والنرويج ، وأسبانيا ، والبلجيك ، واليونان ، وهولنده ، والدانمارك ، والبرتغال . أما ألمانيا فقد فقدت امتيازاتها بمقتضى معاهدة فرساي في سنة ١٩١٩ ، وتعاقدت فيما بعد بمعاهدة صداقة مع مصر منحت فيها بعض الامتيازات المؤقتة لحين إلغاء الامتيازات ، وكذلك فقدت امبراطورية النمسا والمجر (وهي الآن مكونة من النمسا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا) امتيازاتها بمقتضى معاهدة سان جرمان (معاهدة الصلح أيضا) ، ولكن النمسا عقدت مع مصر معاهدة صداقة منحت فيها امتيازات بمائة لامتيازات ألمانيا ؛ وكذلك فقدت روسيا السوفيتية امتيازاتها نهائيا ، ولم تعترف الحكومة المصرية بها إلى اليوم

وعقد مؤتمر مونترو في موعده المحدد أى في الثاني عشر من إبريل سنة ١٩٣٧ ؛ وكان وفد مصر مؤلفا من مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة ، والدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب ، وواصف غالى باشا وزير الخارجية ، وعبد الحميد بدوى باشا رئيس أقلام قضايا الحكومة ؛ واستمر المؤتمر منعقدا حتى اليوم الثامن من مايو حيث تم توقيع الاتفاق الذي انتهت إليه مصر والدول ؛ وكانت فرنسا أشد الدول صلابة وتمسكا ؛ وقد دافعت مصر عن وجهة نظرها ما استطاعت ، وتمسكت بالأخص بالنقط الأساسية التي تتعلق بالسيادة المصرية ؛ بيد أنها اضطرت إلى التساهل في بعض التفاصيل والضمانات الخاصة بفترة الانتقال ؛ وجاز المؤتمر كثيرا من الأزمات الدقيقة التي أثارها فرنسا بتشدها وفداحة مطالبها . وهذه خلاصة للبادئ الهامة التي تم الاتفاق عليها :

أولا - وافقت الدول على إلغاء الامتيازات الأجنبية وكل ما يترتب عليها من الحقوق والمزايا الخاصة إلغاء تاما شاملا ثانيا - ألغيت جميع القيود التي كانت قائمة في سبيل التشريع المصرى بما ذلك التشريع المالى على الأجانب ، وأصبح من حق مصر أن تطبق على الأجانب جميع القوانين التي تطبقها على الوطنيين ، وألغى حق الاشراف الذي كانت تزاوله المحاكم المختلطة في تطبيق هذه القوانين وفي الحكم بصحتها ثالثا - رضيت مصر بتنظيم فترة الانتقال حددت

من الأدب التحليلي

أنا ...

للاستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

... قال لي أهلي : لقد جئت إلى هذه الدنيا عارياً بلا أسنان ، لا تحسن النطق ، ولا تعرف شيئاً ... فضحكت ولم أصدق ، فأعادوا ذلك علي ، وألقوه كأنه قضية مسلمة وأمر واضح لا يحتمل الشك ، وعجبوا مني حين أكذبه وأرده ... ولكنني بقيت على رأي الأول ، لم أستطع مطلقاً أن أصدق ما يقولون ، لأنني أعرف بنفسى منهم ، ولأنني أذكر ماضى كله : أذكر أنني فتحت عيني ذات يوم فجأة ونظرت ... فوجدت نفسى ، ورأيت أن لي أسناناً وعلى ثياباً ، وبى قدرة على المشي والنطق ، ورأيتني شخصاً مستقلاً عن أبى وأمى وسائر أهلى ، أحب أشياء لا يحبها أحد منهم ، وأكره أشياء لا يكرهونها ، ولا يميزنى منهم إلا أن كالتبعة المختصرة من الكتاب ، فيها كل الأبواب والفصول بيد أنها موجزة و ... بالقطع الصغير ، ...

أفيعقل أن أكون موجوداً قبل ذلك اليوم ، وأنا لا أعرف نفسى ؟

مستحيل !

واستقر في ذهني من يومئذ ، أن ولدت وأنا في الرابعة من عمري !

— ٢ —

وصرت أرى هذا الطفل دائماً ، أبصر صورته في المرآة وأسمع صوته بأذني ، وأصغى إلى حديث أمى عنه بشغف وسرور ، فكنت أشعر بميل غريب إليه ، حتى أنى لاعترف الآن بأنه كان أحب إلى من أبى ، التي لم أكن أعدل بها أحداً

ولا أقبل كنوز الأرض بدلا من امتصاص ثديها والنوم على صدرها ...

ذلك الطفل الباسم ، ذو العينين السوداوين ، والشعر ... يا للأسف ! أنى لا أستطيع أن أتخيل شعره ، لقد محيت صورته من ذا كرتى ، لقد اختفى من الدنيا منذ ربع قرن ، لقد ذهب إلى حيث لا أدري ؟ فهل كنت أنا ذلك الطفل ؟ هل تجمي يده الصغيرة الغضة في يدي الخشنة التي أخط بها هذا المقال ؟ فأين ذهب إذن ؟ ومن أين جئت أنا ؟ ... أنى لست ذلك الطفل ولست غيره ... فكيف يعقل هذا ؟ هذا يحيرني دائماً ، ولا أعرف له حلاً ، بل إن مجرد التفكير فيه يدفعني إلى الجنون ...

— ٣ —

ونظرت يوماً من الأيام - فاذا في مكان ذلك الطفل الالهى اللاعب - العابث بكل شيء ، الذي يحطم كل ما يصل إليه ، ويقبض على الجرة المشتعلة بيده كما يقبض على البرقالة الحمراء ، ويعبث بلحية القاضي إذا هو بلغها ، كما يعبث بشعر الهرة ... إذ أنى مكانه تليذ يقرأ مكرهاً ، ويكتب مضطراً ويحملهم المدرسة التي يذهب إليها كل يوم كالذى يساق إلى الموت ، لا يعرف لوجوده فيها معنى ، ولا يدري فيم يدع عطف أمه ، والآنس باخوته ، ولم يترك بيته وما فيه من الدفء في الشتاء ، والظل في الصيف ، لينذهب إلى هذه الدار التي يحشد فيها الأطفال الأبرياء المساكين ، لتحشى أدمغتهم بمسائل لا يدركون معناها ، وشروح لا يعرفون مغزاها ، وتقال من أبنائهم وظهورهم عصا المعلم الغليظة ، وتقذى عيونهم برؤية طلعت البغيضة ، لا المعلم يبسم لهم ، ويدعوهم إلى حبه ، ولا أهلهم يستمعون شكواهم وينصفونهم ... لقد كان في هذه المدرسة كالمحكوم عليه بالسجن ظلماً ...

يا لهذا التليذ البائس الذي لم يكده يفتح عينيه على الدنيا حتى أبصر الشقاء والألم . لقد مات كنداً ، ومضى مسرعاً في طريق الفناء ... مسكين ... إنه لم يكن إلا أنا ، أنا الذي ولدت وماتت مرة ، حتى صرت الآن ... (أنا)

— ٤ —

وكان يوم آخر ، فاذا (الفلم) ينكشف هذه المرة عن منظر جديد : اختفى التليذ الجميل ، ذو السراويل القصيرة ، والقميص الأحمر ، والحقيبة الزرقاء الصغيرة ، وذهب بجسمه ونفسه ومبوله وأفكاره ، وظهر الشاب الخليق الوجه ، ذو (الربطة) الطويلة ، والحقيبة السوداء الواسعة ... ظهر في الثانوية طالباً متحمساً ، كأنما ركبت أعصابه من الدناميت ، وصنع فمه على مثال فوهات الرشاشات ، فلا يكاريح في المدرسة حادث ، أو تقوم في البلد ضجة ، إلا انفجر الدناميت وانطلق الرشاش ، وقام في الطلاب خطيباً ثائراً مثيراً ، فخطموا الباب وخرجوا ... كان ينتقم بهيأته وثورته لذلك التليذ الهادئ . الحبي المظلوم ... ولكن الامتحان لم يلبث أن يكسر له عن أنيابه وجاء ينتقم منه ...

هذه هي البكالوريا . قتها لها . إن مستقبلك معلق عليها ... ولم يكن قد فكر في المستقبل . أو حسب له حساباً فلما سمع به وقف وتردد وكبح من جماح نفسه ... يجب أن يضمن المستقبل . ليصل إلى آماله . آماله الكبار التي كانت تملأ نفسه ولا يشك في بلوغها ... وكان قد بدأ ينشر في جرائد البلد فهو يجب أن يكون كاتباً كبيراً منتجاً يخدم بقلبه وطنه . ويدافع به عن الحق والفضيلة . ويقا تل به خصومها وأعداءها ويساهم في تحرير وطنه . ويكون له في (الإصلاح الشعبي) أثر يذكر . فليسع إذن لنيل الشهادة ، فانها تبلغه كل أمل . وتوصله إلى أبعد غاية . إن الدنيا كلها ترتقب نجاحه في (البكالوريا) . فاذا نجح فتحت له الأرض كنوزها . وحمله الناس على أعناقهم إلى سدة المجد . وقاموا بين يديه قيام الخدم بين أيدي الملوك ...

تلك كانت أحلام الصبا ... فيا رحمة الله على عهد الصبا !

— ٥ —

حرم الشاب على نفسه كل متعة من متع الدنيا ، فلا نزوة ولا راحة ، ولا حظ له في النوم العميق ، ولا الطعام الهنيء . ولا شغل إلا شغل المدرسة ، حبس نفسه بين كتبه ودفاتره بقرأ آناه الليل وأطراف النهار ، ينتقل من هذيان الأدباء

إلى طلسمات الرياضيين والعلماء ، وحساب الجيب والمماس ، إلى شعومات الطبيعيين وأصحاب الكيمياء ، ودرس الملوحة والحامض والفضياء والكهرباء ، إلى خرافات الفلكيين وجغرافية السماء ، يدرس هذا الهراء كله في دماغه ليصبه يوم الامتحان في ورقة الفحص ، ثم يلقيه في مكانه ، ويخرج من المدرسة فارغ الرأس كما دخلها أول مرة ...

كان يخشى أن يثار منه المدرسون الذين جرعههم الصاب وسقام الخنظل باعتراضاته ومناقشاته وثوراته فيسقطوه في الامتحان ، فجد كل الجد . ولم يدع في كتب المدرسة حاشية إلا حشاها في رأسه ، ولا تعليقة إلا علقها في ذاكرته ، ثم دخل الامتحان بعقل من سطوح وأجسام ، وخطوط وأرقام ، وخرافات وأوهام ، فنجح أعظم نجاح ...

وهل ينجح في الامتحان إلا من حفظ ولم يفهم ؟ وهل تدل هذه الامتحانات إلا على قوة الذاكرة ، وشدة الحفظ وإتقان المنهج المقرر ؟

نجح ، فوثب فرحاً ، وتهايخوض معركة الحياة ، فقالوا له : مهلاً قال : ماذا ؟ قالوا : لابد من شهادة عالية . إن المستقبل لا يضمن إلا بشهادة عالية !

قال : ويحكم ! وهل يبني المستقبل على (الورق) ؟ وانطلق يلعن هذا المستقبل ، الذي حرمه عبث الطفولة ومتعة الشباب ، ونقص عليه حياته ، ولم يتركه يستريح إلى حاضره يوماً واحداً ، كان أبدأ يدفعه إلى الأمام ، فيعدو كالفرس المحموم ، فيتعب من العدو ، ولا يصل إلى منزل !

— ٦ —

راح الشاب يدرس الحقوق لينال الشهادة ، ويضمن المستقبل ، ويشغل بالأدب ، ليستجيب للرغبة ، ويحظى بالمنعة ويعمل في الجريدة ، ليضمن العيش ، ويعول الأسرة ... واستمر على ذلك حتى نال (الليسانس) فربح بقربه من الأدب البعد عن الناس ، والجهل بالحياة ، وكسب بميله الأدبي وطبعه المستوحش ، وجهله بالحياة ، خصومة الناس ، وهضادة الكبراء وعداوة المال ...

- ٧ -

نزل الشاب الى ميدان الحياة ، برأس مترع بالعلوم ،
والمبادئ السامية ، ويد مثقلة بالشهادة الابتدائية والثانوية
والعالية ، وجيب خاوي خال .
فلم تكن إلا جولة واحدة ، حتى ولى منهزماً !

ذلك لأن سلاحه ، من (طراز قديم) لم يعد يصلح اليوم
في معركة الحياة !
ولقد خدعته المدرسة ، وكذبت عليه ، وصورت له الحياة
على غير حقيقتها :

قالت له المدرسة : العلم خير من المال ، العلم يحرسك
وأنت تحرس المال ، فرأى أن المال في الحياة خير من العلم ،
العلم لا ينال إلا بالمال ، فلو أن شاباً كان أذكى الناس ، وأنه
الناس ، وكان مفلساً لا يملك أجور المدرسة ، وأثمان الكتب
والثياب ، لما قبل في جامعة ولا حصل علماً - والعلم لا يثمر
إلا بالمال ، فلو أن أعلم أهل الأرض ، كان مفلساً ، يفكر في
خبزه من أين يأتي به ، وبيته كيف يستأجره ، لما بقي له عقل
يفكر ، وذكاؤه ينتج ، ورأى أن أصحاب الأموال الجاهلين ،
تبيحهم الحياة أجمل ما تملك من متع ولذائد ومجد وجاء ،
والعلماء الفقراء محرومون من كل شيء .

نعم إن المدرسة كانت تكذب عليه !

وقالت له المدرسة : الأخلاق أساس النجاح ، وضرب
له المعلم مثلاً سيئاً طلاباً لا أخلاق لهم ولا عفاف . وضرب
له مثلاً عالياً طلاباً كانوا نموذج الطهر والاستقامة والشرف ،
فرأى أن الأولين قد بلغوا أعلى المراتب وأسمى المناصب
والآخرين تحت تحت ... على العتبة ...

فلم أن المدرسة كانت تكذب عليه !

وقالت له المدرسة : إن الحق فوق القوة . القوة للحق
وليس الحق للقوة ، فآمن بذلك وصدقه ، وتسليح بسلاح
الحق ، فما راعه إلا اللص يضع مسدسه في صدغه يطلب ماله
وثيابه ، فألقى عليه محاضرة في الحق ، جمع فيها كل ما تعلمه من
أساتذته ، وأضاف إليه ما انشغ عنه ذهنه فرد عليها اللص

بقهقهة مروعة ... وذهب بأمواله وثيابه ورجع هو عارياً .
لم يبق له إلا فكرة سخيفة لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا
تنجى من برد ...

ورفع شكواه إلى القاضي ، فلم ير عند القاضي حقاً يقهر
القوة ، ولكن وجد عنده قوة تصنع الحق ، وجد قوة الجنود ،
فأين يبقى الحق إذا ثار اللصوص على الجند أو فكوا بهم ؟
هذه هي سنة الحياة ، وليس على الحياة ذنب ، فهي سافرة
لم تستتر ولم تخدع أحداً عن نفسها ، ولكن الذنب على الأدباء
والمدرسين الذين وضعوا عيونهم في أوراقهم ، وحبسوا
أنفسهم في مكاتبهم ، وأرادوا أن يدرسوا الحياة فلم يفهموا
منها شيئاً ...

- ٨ -

وجلس الشاب (اللبسانسيه في الحقوق) يدون آراءه تلك
في كتاب ، فلما انتهى منه حمله إلى الناشر ، وكله زهو وإعجاب
بنفسه ... فقبله الناشر العاظم وصفحه ، فلما رأى اسم صاحبنا
عليه لوى شفتيه ، وقوس حاجبيه ، وقال له :
- إن الناس لا يقرءون الآن ما تكتب ، ومتى صرت
(في المستقبل) كاتباً مشهوراً ننشر لك آثارك
نخرج متعراً بأذيال الحية ... يلعن المستقبل لعناً

ما هو هذا المستقبل ؟ وهل اقتربت منه شبراً واحداً وأنا
أركض وراءه منذ سبعة وعشرين عاماً ؟ فتي أصل إليه ؟ وأين
هو ؟ أهو في العام الآتي ، أهو فيما بعد خمس سنين ؟ وهل
يبقى مستقبلاً إذا أنا بلغت أم يصبح حاضراً ، ويكون على أن
أبلغ مستقبلاً آخر ؟ .. أليكون مستقبل القبر ؟ لقد طوفت في
الآفاق ، وشرقت وغربت ، وأنجذت وأعرقمت ... فأرجعت
إلا بالحياة والتعب والافلاس . فأين أجد الهدوء والراحة
من هموم العيش ، حتى أنصرف إلى ما خلقت له من الدرس
والمطالعة والكتابة والتأليف ؟

وذهب الشاب (اللبسانسيه في الحقوق) يفتش عن الخبز
فلم يجده عند ناشر الكتاب ، ولا في إدارة الجريدة ، ولا في

تحية للرافعي

للأستاذ منصور فهمي بك

مات مصطفى صادق الرافعي ، وما لقيت إلا مرات قليلة
قد لا تتجاوز أصابع اليد عدا ، ولم ترتبط يدي وبينه عقدة
الصداقة الخاصة التي طالما يكون من شأنها أن تؤلف بين
قلوب الناس على الأنس والمودة في الحياة ، وطالما يكون من
شأنها في الممات أن تؤوي الأسى في القلوب .

على أنه إذا كان قد قل لقائي بالرافعي في الحياة ، ولم
تربطني به علاقة وثيقة من حقها أن تدفع القلم في سبيل الرأى
فإن في حق الوفاء لما قدم الرافعي من خير متسعاً يفسح لقلبي
ولغيره من الأقلام الوفاء أن تذكر ذلك الراحل العظيم .

وعظمة الرافعي التي أنوه بها الآن على عجل إنما مرجعها
اتصاله الوثيق بتراثنا الأدبي القديم دون غيره فنهل من شرابه
العذب ، وتغذى من خلاصاته القوية الصالحة ، فأذا بها تتمثل
في أسلوبه ، وتتغلغل في أدبه وتهذيبه ، وتمازج في تفكيره
وتعبيره ، وتندمج في تقديره وتديبره ، فاستطاع أن يشق
للأدب القديم التليد ، سبيلاً في الأدب الحديث العتيق .

فأى إنسان يرى في التراث الماضي نبل هذا التراث
ولا يألم حين يفقد حارساً يقظاً لهذا التراث وداعياً له عليماً ،
ومعرفاً به حكماً ، وأى وريث لثقافة العرب لا يجزع حين
يموت أديب عربي كبير كان يعرض في أدبه للخلف ، جميل
ما جادت به نفوس السلف ؟ وأى أسف لا يستولى على
النفوس بموت الرافعي النابغة الأديب حين يمر على الخاطر أن
الناس قد فتوا بالحاضر ، فنسوا وعتقوا محامد الغابر ؟

وإذا كان من حق الآثار الصالحة أن تبعث من قبورها ، أفلا
يحق على الناس أن يأسفوا على من كان يعمل على نشرها من مراقدها ؟
وا أسفاً على الرافعي ، ثم وا أسفاً على الرافعي !

فألى الأدباء إذن وإلى الشعراء ، وإلى آل الرافعي جميل
العزاء ، وعليهم جميعاً للرافعي الأديب الكبير بعد ذلك حق الوفاء .

منصور فهمي

مكتب المحامى ولم يجده إلا في مدرسة القرية ، فصار (معلم
صبيان) فيها ، يقرئهم الف باء ، ثم ارتقت به الحال قليلاً ،
فصار يدرس سير الأدباء ، وأشعار الشعراء ... يكذب ويتعجب ،
في الليل والنهار يحمل آلام الغربة ، وعناء العمل ، ثم لا ينتج
أثراً أدبياً ، ولا يفيد علماً ، ولا يحفظ في جيبه درهم واحد ...
إنه يشتغل من أجل المستقبل ...

- ٩ -

أين ذلك الطفل الذي كان يكره المدرسة ، ويغض المعلم
القاسى - من هذا المعلم الفظ ، الذي يرهق الأطفال ويهز عصاه
في وجوههم ، ويقرع بها جنوبهم ... من يستطيع أن يتصور
أن هذا هو ذلك ؟ وأى شبه بينهما ؟ انهما مختلفان في الجسم
والشكل والطباع والميول ، فلن يكونا شخصاً واحداً !

أين ذلك الطالب المتحمس الذي كان يقود الطلاب إلى
المظاهرات ، ويخطب في المساجد والمجامع والأسواق ؟ من هذا
المدرس الحامل الذي يلتقي دروس الأدب على هؤلاء الطلاب ،
ويبدو فيهم كشيخهم في الثمانين ؟ هل هما شخص واحد ؟
إن ذلك الطالب لو رأى هذا المدرس لأبغضه وكرهه
ولما تردد في البطش به !

وأين ذلك الشاب الذي تفيض نفسه بالآمال الكبار ؟ من
هذا اليائس القانط الذي لم يعد يأمل في شيء ، لأنه جرب فلم
يصل إلى شيء ؟

- ١٠ -

وبعد . فلم أفكر في هذا ؟ إننى لا أدري من أنا ، ولا
أعرف كيف وجدت ، ولا أعلم ما هي صلتى بذلك الطفل الذي
نسيت حتى صورة وجهه ، وذلك التلميذ الذي لم أعد أعرفه
إلا بالتخيل ، وذلك الطالب الذي أحبه وأتوق إليه ، وذلك
المعلم الذي أربى له وأشفق عليه ؟

هل أنا كل هؤلاء ؟ وماذا بعد ؟

يا الله ! إننى أحس كأنى جئنت حقاً ؟

(بغداد)

على الطنطاوى

في الأدب المقارن

التاريخ

في الأدبين العربي والانجليزي

للاستاذ غري أبو السعود

التاريخ قصة الانسانية وحكاية ماضيها ، يصف حياة الانسان من قديم عهوده ، وتقلب أحواله على مرور العصور ، وكفاحه في سبيل التقدم والسعادة ، ويعرض أعمال الأمم وعظائم الافراد وتعاون الشعوب حيناً وتعاديتها أحياناً ، ويشرح سريان الحضارة والثقافة من صقع إلى صقع ، ومن جيل إلى جيل ، ومن أمة إلى أخرى ، وما أضافته إليهما عبقرية كل شعب ، من مستحدثات العلوم والفنون والصناعات ؛ فالتاريخ سجل مليء بالعظات والدروس ، حافل بالمنعيات والطرائف ، يمتع اللب سياقه القصصى ، وينبه الخيال بعده الزمنى ، ويملا النفس أحياناً بالفخار الوطنى ، ويوقف الانسان في حاضره ويبصره بما بين يديه ، حين يعرض عليه أنباء الماضى ووقائعه

ولا يستمد التاريخ بما دونه المؤرخون في طروسمهم فقط ، بل يستمد بجانب ذلك من آثار الفنون المنخلفة عن الأمم ، من عمارة ونحت وتصوير وأدب ، في كل هاتيك صور من عقلياتها ومذاهبها ومجتمعاتها ومنازعها ؛ فالتاريخ الحضارة المصرية القديمة لا يستمد إلا أقله مما دونه المصريون أنفسهم أو من جاء بعد عهدهم من مؤرخي الأمم التالية ، أما أكثر ما يعرف عن حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم ودياناتهم وعلومهم ، فستقى من غلقاتهم في عالم البناء والنحت والنقش والصناعة ، وقل مثل ذلك في تاريخ اليونان والرومان ، وغيرهم من الأمم التي أنشأت الحضارات وكان لها في العلم والفن شأن يذكر

فالتاريخ الأمة وفنونها متصلان أوثق اتصال ، فالعوامل النفسية التي تسطر على المجتمع والحكومة وتؤدي إلى الأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية ، هي هي العوامل النفسية التي تسطر على فنون الأمة ، فيميل أبناؤها إلى فنون دون أخرى ، وينحون بفنونهم انحاء خاصة دون غيرها ؛ فقدماء المصريين الذين كانوا يخضعون للملكية مطلقة دينية الصبغة ويؤهلون ملوكهم ، نبغوا في

عالم العمارة في بناء المعابد والمقابر دون القصور ، ونحتوا التماثيل للملوك والآلهة ، لا للأبطال والرعماء والخطباء والرياضيين كما فعل الاغريق ، ولم يرتق فيهم الأدب الذى يترجم عن مشاعر الفرد ، ويعبر عن خوالج المجتمع

والأدب أشد الفنون اتصالاً بتاريخ الأمة وارتباطاً بتطورات المجتمع ، إذ كان صدى ناطقاً دقيقاً لما يحس به الفرد والمجتمع ، بل الأدب مصاحب في بدئه للتاريخ في ظهوره ، يتمازجان لدى الجماعات البدائية في محاولتها تفسير ظواهر الكون والتغنى بمفاخر أسلافها ، ويشاب كل ذلك بالخرافات ، ويظل الأدب والتاريخ مختلطين على ذلك النحو مادامت الأمة في عهد بدايتها ، فإذا ماتحضرت ودونت الكتب بدأت العلوم تتفرق وتتميز ويستقل كل منها بنفسه ، فظهر المؤرخون واستقلوا بأمرهم عن الأدباء ، بيد أن الصلات بين الأدب والتاريخ تظل محكمة ، إذ كان كل منها مرآة للمجتمع تعكس صورته من زاوية مختلفة

فالأدب لا غنى له عن درس تاريخ الماضين والتبصر في تاريخ عصره ، كي يتذوق عقله ويحصف فكره لأحوال البشر ، والمؤرخ لا غنى له عن النظر في كتب الأدباء ليفهم روح العصر الذى يؤرخ له ومثله العليا ، ولا غنى له إذا أراد أن يبحر تاريخه كاملاً عن أن يفرد جانباً منه لدرس الحياة الأدبية لذلك العصر ، والمؤرخ للأدب لاندحة له عن درس التاريخ السياسى للعصور الأدبية ، والبيئات السياسية والاجتماعية التي عاش فيها الأدباء الذين يترجم لهم ؛ وقد كان من عظماء اليونان والرومان أمثال ديموستين وتيسيديد وقيصرو وشيرون من جمعوا بين البلاغة الأدبية والتأليف التاريخى ، أو بين حرفة الأدب وحرفة السياسة وصناعة الحرب

إذا ما بلغت الأمة طور الحضارة والاستقرار والثقافة ، ودخل الأدب في طوره الفنى ، تميز التاريخ وقام علماً مستقلاً بنفسه كما تقدم والتفت إليه الأدباء فوجدوا به مجالاً لفنهم رحيماً ومرتعاً لابتكارهم خصيماً ، فهم لا يكتفون باستيعاب حقائقه واجتلاء فوائده ، بل يتخذون من مشاهدته وأحداثه ورجاله مادة وغذاء لأفلامهم ، ومسارح لحياهم ومناوح لبيان آرائهم في الانسان والحياة ، وشواهد لتدعيم حججهم في المذاهب والمشاكل ، فيتخذ منه الشعراء موضوعات لقصيدهم ، والقصاصون هياكل لقصصهم ، ويجدون في عوالمه العبدية وحوادثه القربية وعظائمه النابيين ، مهرباً للنفس من عقال الحاضر القريب ، وأحداثه العادية

كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب لأنه - هو والقصص - كانا يحويان أخبار العرب ، ويحفظان مشهور حوادثهم وأيامهم ،

مدارا للقصص ، ولا من أبطاله أمثلة للتمجيد ، فليس من بين أدباء العربية الكبار من استهزه حادث تاريخي قرأه ، أو أثر تاريخي وقف به ، إلى نظم قصيدة أو إنشاء رسالة يستجلى فيها عبر التاريخ ويمجد قوة الانسان ، أو يتدب ضعف حيلته لإزام جبروت المقادير . وليس من كتاب العربية ذوى الأساليب الجزلة من شر عن ساعد الجد والبحث والاطلاع حتى كتب تاريخاً رفيعاً لبعض العصور أو الرجال ، تاريخاً بعد تحفة في عالم الأدب كما قد يعد مرجعاً في عالم التاريخ ، وإنما كان بعض الشعراء يتصلون من الشؤون الاجتماعية والسياسية ، ويتبرؤن من الاشتغال بمسائل التاريخ ، كما قال ابن المعتز :

قليل هموم القلب إلا للذة ينعم نفساً آذنت بالتثقل
ولست تراه سائلاً عن خليفة

ولا قائلا : من يعزلون ؟ ومن يلى ؟

ولا صانحاً كالعبر في يوم لذة ينظر في تفضيل عثمان أو على أما في الإنجليزية حيث كان الأدباء والمؤرخون كثيرهم من أفراد الشعب يشاركون في الحياة الاجتماعية والسياسية بأرائهم ومذاهبهم ، بل بأعمالهم ومساعدتهم ، فقد جاء كل من الأدب والتاريخ أكثر حرية وأقرب إلى جانب الشعب ، وأكثر طروفا لمراضيع المجتمع ومشاكل بنيه ، وجاء الاتصال بين الأدب والتاريخ شديد التوثق ، وجاء الأدب الإنجليزي أحفل بآثار المجتمع الذي قيل فيه من الأدب العربي ، ومن ثم تدرس النصوص الأدبية الكثيرة في أثناء دراسة التاريخ في الجامعات ، فتدرس آثار ملتون مثلاً عند دراسة عهد المطهرين في إنجلترا

ووجد أدباء الإنجليزية في التاريخ مجالاً واسعاً لفهم وابتداعهم ، فجاء فيه شكسبير ومعاصروه جولات عديدة ، واتخذوا مشاهد رواياتهم في بلاد اليونان أو إيطاليا أو دانيمرة أو إنجلترا القديمة ، واشتق ملتون ودريدن موضوعات كثيرة من قصيدهم من تاريخ اليهود وأبناء ملوكهم وأنبيائهم ، فلما ظهر النثر الفني بجوار الشعر لم يغفل التاريخ ولم يكن أقل لموضوعاته طرقاً من الشعر ، بل كان أحرى أن يشتمل على حقائقه ودقائقه ويعالج مسائله ودروبه . بما يمتاز به على الشعر من رحب جوانبه ودقة تعبيره ، فعالج جييون وهيوم وآدم سميث وكارليل وغيرهم التاريخ والاجتماع وفلسفتهما في أسلوب أدبي شائق ، وجع بعض الأدباء أمثال ما كولي وأرنولد بين الكتابة في الأدب والتأليف في التاريخ فكان الأدب والتاريخ لديهم كلا واحداً يحولون في نواحيه

ويمكن أن أخبار رحلاتهم واستقرارهم ، ويشيران إلى ما وراء ذلك من عوامل اقتصادية واجتماعية وعصية ، فلم يكن العرب إذ ذاك يعرفون من التاريخ إلا حفظ الأنساب ، فلما تحضروا واستقروا في المدن تضاد شأن النسابة وظهر التاريخ المدون ، ظهر أولاً لغرض عملي شأن كل العلوم والفنون ، لحفظ أخبار الفتوح وسيرة النبي الكريم وصحابته وتفسير بعض آيات الذكر الحكيم ، وارتقى التاريخ شيئاً فشيئاً وصارت له أغراض غير هذه وتنازل موضوعات أخرى أرحب وأعم

يد أن التاريخ لدى العرب — كالآداب — ترعرع في ظل الملكية المطلقة ، فقام كلاهما مشتملاً على نفس النقاظ : احتنى كلاهما بامر الملوك وأغفل جانب الشعوب ، واهتم بالأحداث السياسية والحروب وتجاهل التطورات الاجتماعية والاقتصادية ، واتسم كلاهما بالمحافظة والتقليد والنقل في غير نقد ، لأن وطأة الملكية كانت تضطر كلا منهما إلى الاطراق والاضواء والتعاقل عن مواطن الضعف ودواعي الإصلاح ، وكما كان الشعراء يفرضون الشعر ليتقدموا به إلى الأمراء مزلقين ، فيملاًونه بالمدح المغالى فيه ، كان بعض المؤرخين يصنفون أسفارهم ليرفعوها إلى بعض الخلائف والسلطين بغية الثواب والخطوة ، فيملاًونها بمدحه ومدح أسرته وتعداد مآثره ومفاخر دولته ، ويؤيدون دعواه وينحون على عداه ، ويتفاضون عما عدا ذلك

وقد ظل الاتصال قائماً بين الأدب والتاريخ بعد تدوين الكتب واستقلال علم التاريخ بنفسه ، فظلت كتب الأدب تحوى كثيراً من أخبار الجاهلية والاسلام ، بل كانت تلك السير والأخبار والشذرات والنوادر من أهم مواد كتب الأدب العربي ، ووردت في أشعار الشعراء شتى الاشارات إلى أحداث الماضي ورجاله ، كما أن المؤرخين وكتاب التراجم والمعاجم كثيراً ما كانوا يلجأون إلى الشعر مستشعدين لما هم بصده من تحقيق حادثة ، أو تصوير رواية ؛ وكان بعضهم يعيرون الشعراء اهتمامهم فيترجمون حياتهم ترجمة موجزة ، وكان بعض الشعراء ينظم في أحداث جيله ، كما فعل ابن الرومي في ثورة الزنج وفي مقتل بعض العلويين الخارجيين . وكان كتاب الأمراء يتناولون مسائل السياسة في رسائلهم ، فيندرج أشعار أولئك وكتابات هؤلاء في تراث التاريخ اندماجها في كنوز الآداب

يد أن الأدب العربي الذي أغفل كثيراً من موضوعات القول التي يتهاقت عليها الأدب إذا ما بلغ طوره الفني ، أهمل التاريخ إهمالاً كبيراً ، فلم يتخذ من حوادثه وحيا للنظم ، ولا من أعاجيبه

ضوء جدير على الدين الدرزي

الحياة والمعيشة الدرزية

للأستاذ محمد خالد ظاظا

يقول الأستاذ (عنان) إن كافة الرواة أجمعوا على أن الحاكم ذهب (ضحية المؤامرة والجريمة المدبرة) مع أن أنصار الحاكم ومؤيدي مذهبه يدعون أن الحاكم ارتفع إلى السماء امتحاناً للمؤمنين ولم يقتل أبداً؛ وعن قريب سيعود من البلاد الصينية ومعه الجيوش الجرارة فيفتح هذه البلاد جميعها ويعيد الحالة إلى ما كانت عليه؛ وسوف لا يبقى إلا الديانة الدرزية الحققة. لأنه بحكم الواقع تلغى جميع الأديان عند قدومه. وهؤلاء المؤمنون نزحوا من البلاد المصرية وقطنوا البلاد الشامية في الجبال الشرقية منها، وأسسوا مدناً وقرى اشتهر منها السويداء ومجدل شمي وبعقلين. وقد كانت لهم هذه الجبال معازل تصد عنهم غارة الأمم الفاتحة حتى أصبح يخشى بأسهم وشدتهم، ولم يختلطوا مع الأقوام السورية، بل تجنبهم حتى أنهم لبثوا ليومنا هذا محافظين على تقاليدهم وعاداتهم برغم تطور الزمان وانقلاب السلطان، وبقيت هذه الديانة سراً مدفوناً إلى حين نشوب الثورة السورية في عام سنة ١٩٢٦ فأذاعت من أسرارهم وديانتهم ما خفي طيلة هذه الأعوام الماضية. فالدروز ثاروا ودافعوا عن بلادهم وساهموا بقسط وافر من الوطنية، واضطروا بحكم الشدة أن يتركوا بلادهم تفعل بها نيران القنابل والمدافع فعلموا، فلعبت الأيدي بكتبهم المقدسة وتراثهم المدفون وانتقلت هذه الكتب إلى أيدي الكثيرين.

وقد أكدلى أحد رجال الدروز العقل أن كتابهم المقدس الذي يسرون بموجبه ويتبعون أثره هو خلاصة عدة كتب مقدسة، أو بالأحرى خلاصة جميع الكتب الدينية ويزاد عليه بعض الحكم والنصائح. ويندر وجود هذا الكتاب عند كل درزي لأنه ينسخ ويخبا عند رئيس الدين الأكبر

بلا تفريق، وبقيت كتاباتهم يدرسها طلاب الأدب كما يدرسها باحثو التاريخ

بل بلغ غرام بعض الأدباء بالماضي، وشغفهم بتقاليده وأزيائه ومحبتهم لأفئداه وعظماؤه حد بعيداً، وقد كان سكوت من ذلك الضرب الذي يحيا في الماضي وبجلائله ولآلائه وبطولته، ولا يكاد يلتفت إلى الحاضر أو يعني بالمستقبل، وفي ذلك العالم السالف كتب سكوت أحسن قصصه. وعمن كتب في الروايات والقصص التاريخية أيضاً تيسون وبروننج ودرنكور وروشو، وقد نرى موضوعاً تاريخياً حديثاً كالثورة الفرنسية، وقد تناولوه المؤلفون الانجليز من شتى النواحي، فحلل الحوادث الثورة وشخصياتها ككارليل، ومندد بمبادئها كبرك، ومرحب بتلك المبادئ مترنم بها كوردزورث، ومتخذ من قصة وليد تلك الثورة نابليون موضوعاً للملحمة طويلة كماردي، وهكذا تحيا حوادث التاريخ في أذهان مطالعي الأدب مضورة من شتى النواحي

ولا شك أن هذا التاريخ الأدبي، إذا سميناها كذلك، أجدر بالقراءة وأحق باهتمام المثقف من التاريخ المجرد، إذ في آثار الأدباء تحيا حقائق التاريخ وتدب فيها روح إنسانية جديدة وتتملى بالإمتاع، ويعود التاريخ والأدب وكلاهما مظهر لحياة الإنسان المطردة التطور والتغير، وتفكيره الدائب الحركة والتقلب، وفي هذا التاريخ الأدبي يرتبط الحاضر بالماضي، والقريب من الأُمم بالبعيد، وتتقاصر مسافات الزمان والمكان، ولا يبقى إلا الإنسانية الشاملة، وهذه الإنسانية هي مجال كل فن صميم

هذا التاريخ الأدبي لم يعرف في العربية، فكان هناك المؤرخون وكان هناك الأدباء، ولكن كلا منهما كان مستقلاً عن الآخر استقلالاً كبيراً، ولم يكن الأدباء يعدون التاريخ مجالاً من مجالات أدبهم، أو مطمحاً من مطامع فنهم، يتكرون في مجاله وينشئون، وما ذاك إلا لانشغالهم بالقرب الحاضر من شؤون العيش، عن البعيد المترامي من أمور الحياة وآفاق الفكر، لأن الأدب ظل أكثره بلاطياً يمدح الأمير ويحور رسائله، وكان الفوز بتلك الخطوة مطمح الأديب ووسيلته الكبرى إلى الظهور فإذا ما بلغ ذلك المكان لازم ذلك الضرب الوحيد من القول، ولم يصرف أدبه إلى التأمل في شؤون الماضي والمستقبل، وهكذا أغفل الأدب العربي التاريخ فيما أغفل من موضوعات هي صميم الفن، لوثيق صلها بالإنسانية

نعمى إبراهيم السعود

والدروز لا صلاة ولا صوم مفروض عليهم ، ولا يعرفون شيئاً من أنواع الطرب لأنها معدودة عندهم من المنكرات المحرمة في الدين . وأقسامهم المخلطة هي : بالنبي شعيب واليعفوري ، والحدود الستة ، والحكمة المقدسة .

والنبي شعيب احترام عظيم في نفوسهم ولا يعتقدون إلا بنبوته دون كافة الأنبياء . وأما اليعفوري فهو أحد أوليائهم الصالحين ذوي الكرامات له مقام يقع بين قرية مسعدة وقرية مجدل شبي في القسم الجنوبي من سورية ، ويقصده الدروز من أماكن بعيدة للتبرك به والدعاء له . ولعل أغرب ما في مذهبهم أنهم لا يتزوجون من المسلمين ولا يزوجون بناتهم منهم بحجة أنه يسمح للسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية ، أو يحق لمن يدخل في الدين الاسلامي أن يتزوج مسلمة مهما كان شأنها ، ولا يقبلون أحداً أن يدخل في دينهم مهما كان شأنه ، ولا يسمحون لأحد منهم أن يترك دينه ويدخل في دين آخر وإن فعل ذلك عرض نفسه للقتل المحتم . وإذا خطفت فتاة منهم يتحرون عنها حتى يحدوها فيقتلون الخاطف والمخطوفة خوف إفشاء السر . هذا إذا علموا مكانهما .

والدروز ذو أجسام كبيرة وقامات طويلة ووجوه دموية يغلب عليهم الشجاعة ، يسترون رؤوسهم بالعمائم الكبيرة البيضاء ويحتدون الزربول ويلبسون السروال والصدريّة والعباءة ذات الأكمام القصيرة ، دياتهم عندهم إلى التقشف في كل شيء في الحياة رغبة في نوال الآخرة والجنة المعهودة .

وتحرم عليهم تعاطي المسكرات والملاذات وشرب الدخان ومن فعل ذلك منهم يطرد كما أوضحنا سابقاً . وأما النساء فيتلصصن بالشاشة البيضاء ولا يظهرن من وجوههن إلا عيونهن ويرتدين الثياب الطويلة حتى الأرجل ، والشرف هو الواجب الأول عندهن . وهن على العموم يتمسكن بأهداب الفضيلة وترك الرزيلة ...

محمد خالد طائلا

ولا يقرأ به إلا في الخلوة - أي الجامع . وكيفية قراءته أن الشيخ يجلس في صدر المكان ويلتف حوله السامعون بشكل حلقة مكتفي الأيدي ، مطأطي الروس والأبصار ، خاشعي البصائر ، يسمعون ما يقوله ، ويفعلون ما يأمرهم به . ولا يدخل في هذه الخلوة إلا من استكمل به درجة الرجولة التامة ، وبلغ مبلغ الرجال العقل ، وهم بحسب دياتهم ينقسمون إلى درجات ثلاث :

الدرجة الأولى : الجهال وهؤلاء لا دين لهم ولا يعلمون شيئاً من أمور الديانة الدرزية ، وهم على الأغلب دون الثلاثين

الدرجة الثانية : العقل ولا يصل الرجل منهم إلى هذه المرتبة إلا بعد أن يبرهن أمام القوم أنه أخلد للسكينة وترفع عن الأفعال الدنيئة . وعليه قبل أن يصبح عاقلاً أن يخلق رأسه بالموسى ويترك لحيته تسترسل في نموها نحو الصدر وكلما طال كان أجره عظيماً ، وثوابه جزيلاً . وعليه أن يتعمم بالعمامة البيضاء الكبيرة .

الدرجة الثالثة : الأجاويد ، وهذه الطبقة هم الأكثر تفشفاً والأعظم أجراً ، وهم رؤساء الديانة الدرزية ومشايخ المؤمنين الموحدين ويبدون الأمر والنهي ، فإذا ما وجدوا أمراً ساءم من أحد العقل طرده من الخلوة وأخذوا الدين منه . وبذلك يصبح المطرود لا دين له ، فلا يحق لهم الجلوس معه ولا السلام عليه ولا الأكل والشرب قربه ، يفر منه كل من يراه ، حتى أن عائلته تنفر منه وتكرهه ؛ وإذا مات في هذه الأثناء يموت مسلماً وتنقل روحه إلى كلب أو نصراني أو يهودي أو أي حيوان آخر . وأما إذا مات درزياً ومعه الدين فينال الحسنات وتنقل روحه إلى درزي آخر أو تذهب إلى بلاد الصين ، وهناك تعيش قرب الحاكم بأمره والأخوان الصالحين . ويعتقد الدروز بالتقمص ويقولون إن الروح تنتقل من رجل إلى آخر كما أسلفنا .

والمرأة الدرزية حكمها في الدين حكم الرجل ، ولها ثلاث درجات بخلاف مذهب النصيرية الذين لا يعطون للمرأة ديناً مطلقاً ، والدين عندهم من خصائص الرجال دون النساء .

الى الأستاذ المازن

من الأستاذ محمود تيمور

سيدى الأستاذ الأجل :

أشرت إلى فى حديثك الطريف المنشور بالعدد ٢٠٠ من الرسالة الغرام ، إشارة تنطوى على دعاة من دعاياتك اللطيفة التى تعودنا أن نسمعها منك . فقد ذكرت أنك كنت مدعوا إلى مأدبة عشاء ، واتفق أن أجلسوك بجانب سيدة (وقور) ظنتك إياى ، فانطلقت تمتدحك ، وتمدح مؤلفاتك ، وتخبرك مسرورة أن أولادها يقرؤون كتبك (أى كتبى ولا مؤاخنة) وأنهم جد معجبين بك .

أشكرك ياسيدى الأستاذ على نشرك هذا الخبر . وسواء أكان من مبتكرات خيالك أم هو حقيقة واقعة لا شأن للخيال فيها ، فإنى أرى فيه دعاية طيبة لى ومؤلفاتى ، خصوصا وإنى أعد فى هذه الآونة مجموعة جديدة . ولعلك قد علمت بخبر هذه المجموعة فتطوحت ، من تلقاء نفسك ، جبا فى مساعدة زملائك الصغار (الصغار فى المنزل ، وليس فى السن طبعاً) والاختد يدهم فى معترك هذه الحياة الأدبية العابسة . أشكرك على طيبة قلبك ؛ فأنت حقاً زميل نافع لزملائه . وإنى أخشى أن يفتن الأستاذ الزيات إلى هذه الطريقة المخادعة التى لجأنا إليها - أنت وأنا - فاستغلنا بضع أعمدة من رسالته فى الإعلان عن أنفسنا ومؤلفاتنا ، فتكون العاقبة غير حميدة !

لا أدرى ، أى شيطان أجلسك بجوار هذه السيدة الوقور ، فصرفتك بحديثها الثقيل عن مغازلة - بريئة أو غير بريئة - لجارتك الأخرى ، تلك الغادة الهيفاء التى صوتها كالغريد (على حد تعبيرك) . لو علمت هذه السيدة الوقور أى خسارة لحقت بأدبنا العرب ، بصرفها إياك عن غادتك الهيفاء ، لترككت على الفور طليقا تنعم بحجرتك مع فتاتك ، تستمتع بتغريدها العذب ، ولغاز أدبنا بقصة رائعة من قلبك ، تصف لنا فيها مغامرة جديدة من مغامراتك الغرامية ، تلك

المغامرات التى سيكون لزوجك (الخيالية) أثر كبير فيها ، فنسمعك تقول لها : يا امرأة ، ما شأنك أنت وهذه الغادة الهيفاء التى صوتها كتغريد الطيور ؟ فلا تكاد تتم جملتك حتى تشعر بيد قد استولت على أذنك ، وأخذت تمررها عرك أستاذية عريقاً . . .

- ولكن ما لنا ولهذا ؟ إنى أراهن أن هذه السيدة الوقور لم تقرأ سطرًا واحدًا من مؤلفاتى وإلا لمتاركتها بين يدى صيانتها (فتیان وفتيات) يقرءونها بلا تخرج . هذه المؤلفات ياسيدى الأستاذ لا تخلو - كما تعلم أو لعلك لا تعلم - من قطع نعمتها البعض بأنها من الأدب المكشوف . وإنى شخصيا لا أميز بين هذه القطع وبين غيرها ؛ فالأدب ليس له عندى غير اسم واحد هو الأدب بمعناه الواسع ؛ وليس له إلا هدف واحد : هو الفن ، أو على الأصح هذا ما نزعته - والله أعلم ! فهل لك ياسيدى المحترم أن تبادر إلى هذه السيدة ، وتعلن لها تلك النتيجة المحزنة ، ثم تدعوها باسم الفضيلة والأخلاق - أن تسلمك هذه المؤلفات المربوة لتطهر البيت منها ؛ ولك أن تقترح استبدالها بغيرها بما يعنى بالتربية والتهديب ، وزرع الفضيلة فى النشء الصغير . وكنت أود أن تحمل كتبك محل كتبى ، ولكنى أشك فى صلاحيتها لهذه الأسرة المحترمة ؛ إذ أن مغامراتك الغرامية المنقطعة النظير ، وهذا الشجار العائلى القائم على الدوام بينك وبين أهل بيتك (فى عالم الخيال طبعاً) ، خطر لا يقل فى نظرى عن الأدب المكشوف . إذن ، عليك أن توجه نفسك شطر مكتبة الأطفال ، وليس أمامك إلا صديقنا الأستاذ كامل الكيلانى ، فهو خير من يرودك بما تشتهى وتحب .
- إن ذكر الأدب المكشوف والمغامرات الغرامية والشجار العائلى ، سيدعو الفتیان والفتيات ، من الأدباء وغير الأدباء ، إلى أن يلتفتوا بنوع خاص لهذا النوع الجديده من الأدب ، فيهرعوا إلى المكاتب متزاحمين ... ومن ثم ينال علينا وافر الربح ... وبعد هذا ، ألا ترى أننا ما زلنا نستغل طيبة الأستاذ الزيات فى سبيل الدعاية لأنفسنا ؟ إذن فلنختصر ولننقل الباب والشكر الوافر والتحية القلبية من المعجب بأدبك

محمود تيمور

الرافعي

للاستاذ محمود محمد شاكر

رحمة الله عليك ارحمة الله عليك ا
رحمة الله لقلب حزين ، وكبد مصدوعة ا

لم أفقدك أيها الحبيب ولكنني فقدت قلبي .
كنت لي أملاً أستمسك به كلما تقطعت آمالي في الحياة .
كنت راحة قلبي كلما اضطرب القلب في العناء .
كنت التنبوع الروي كلما ظمى القلب وأحرقه
الصدى .
كنت نجراً يتبلج نوره في قلبي وتنفس نسماته ،
فوجدت قلبي ... إذ وجدت علاقتي بك .
لم أفقدك أيها الحبيب ولكنني فقدت قلبي

جزعني عليك يمسك لسان أن يقول ، ويرسل دمعي ليتكلم .
والأحزان تجد الدمع الذي تذوب فيه لهون وتضاءل ،
ولكن أحزاني عليك تجد الدمع الذي تروى منه تنمو
وتنتشر .
ليس في قلبي مكان لم يرفأ عليه جبي لك وهوأي فيك ،
فليس في القلب مكان لم يحرقه حزني فيك وجزعني عليك .
هذه دموعي تُترجم عن أحزان قلبي ،
ولكنها دموع لا تُحسِنُ تشكُّم

عشت بنفسي مجذبة قد انصرف عنها الخصب ،
ثم رحم الله نفسي بزهرتين ترقان نضرة ورواء .
كنت أجد في أنفاسهما نضرة الروضة الممطرة فلا أحس
فقر الجذب ا
أما إحداها فقد قطفتها حقيقة الحياة ،
وأما الأخرى فانتزعتها حقيقة الموت ،
وبقيت نفسي مجذبة تستشعر ذل الفقر

تحت الثرى ... عليك رحمة الله التي وضعت كل شيء ،
وفوق الثرى ... على أحزان قلبي التي ضاقت بكل شيء ؛
تحت الثرى تتجدد عليك أفراس الجنة ؛
وفوق الثرى تتقدم على أحزان الأرض ا
تحت الثرى تترامى لرؤحك كل حقائق الخلود
وفوق الثرى تتحقق في قلبي كل معاني الموت .
لم أفقدك أيها الحبيب ولكنني فقدت قلبي

حضر أجلك ، فحضرني همومي وآلامي .
فبين ضلوعي مأتم قد اجتمعت فيه أحزاني للبكاء ؛
وفي روحي جنازة قد تهيأت لتسير ؛
وعواظني تشيع الميت الحبيب مطرقة صامته ؛
والجنازة كلها في دمي - في طريقها إلى القبر
وفي القلب ... في القلب تحفر القبور العزيرة التي لا تُنسى

في القلب يجد الحبيب روح الحياة وقد فرغ من الحياة ؛
وتجد الروح أحبابها وقد نأى جثمانها .
في قلبي تجد الملائكة مكاناً طهرته الأحزان من رجس اللذات .
وتجد أجنحتها الروح الذي تهفف عليه وتحقق به .
هنا ... في القلب ، تنزل رحمة الله على أحبابي وأحزاني ،
في القلب تعيش الأرواح الحبيبة الخالدة التي لا تُفنى ،
وفي القلب تحفر القبور العزيرة التي لا تُنسى

لم تبقي لي بعدك أيها الحبيب إلا الشوق إلى لقائك .
فقدت لك وحدتي إذ فقدت الناس جميعاً
سما بك فرحك بالله ، وقعدت في أحزاني عليك .
لقد وجدت الانس في جوار ربك ، فوجدت الوحشة
في جوار الناس
لم أفقدك أيها الحبيب ولكنني فقدت قلبي
لم تبقي لي بعدك إلا الشوق إلى لقائك
رحمة الله عليك ، رحمة الله عليك ا

محمود محمد شاكر

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

استاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٥ —

الربانة المصرية — التوفيق بين الربانة والفلسفة

أشرنا في الكلمة السابقة إلى الخلاف الذى وقع بين المستصرين حول التطور الدينى المصرى وهل هو وليد الفلسفة أو الفلسفة هى وليده. ولما كنا قد تناولنا بهذه المناسبة الكلام على «رع» وتأسرعه، فقد وجب علينا إتماما للموضوع أن نشير إلى إلهة أخرى لا تقل عن السابقين أهمية، وهى «مآت» ابنة «رع» العظيمة

ليست هذه الإلهة من التاسوع، لأنها روحه كله، وبدونها لا يحيا أى واحد من الآلهة، لأنها هى : «الحقيقة والعقل والعدالة». وهل يمكن أن يحيا أى إله بدون الحقيقة والعقل والعدالة؟ وتمتاز هذه الإلهة بأنها تجىء إلى الأرض يحملها فرعون ويتولى تطبيق صفاتها وإبرازها إلى حين الوجود بطريقة عملية ويظل حارسها الأمين إلى أن يموت فتعود إلى السماء وتبقى فيها ريثما يصعد الملك الجديد على العرش فيؤكل إليه أمر حملها وحراستها كسابقه. ولهذا كان كل فرعون يعنى بأن يكتب على آثاره أنه لم يدخر وسعا فى حماية الحقيقة والعدالة وفى إعلاء شأن العقل، لى يثبت بهذا أنه قام بواجبه فى حمل «مآت» إلى الأرض ورعايتها خير قيام. وهالك ترجمة شىء مما يخاطب به فرعون «رع» كبير الآلهة فيقول: «هأنذا أنيت نحوك، وذراعى مجتمعان لى «مآت» التى أنت موجود، لأنها موجودة؛ وهى موجودة، لأنك موجود؛ والتاسوع يناديك أنك أنت الإله العظيم الذى انتصرت منذ ملايين السنين. وأن «مآت» هى وحيدتك،

ولا شك فى أن لمرادفة «مآت» ابنة «رع» للحقيقة والعقل والعدالة أهمية فلسفية وأخلاقية عظيمة، إذ منذ الذى لا يحد

عن الحقيقة ولا يحترم العقل ولا يطبق العدالة مع علمه بأن هذه الأشياء الثلاثة هى مرادفة لابنة «رع»، وهى روح التاسوع المقدس كله. وإذن، فقد كانت هذه الأسطورة عاملا قويا فى تحفيز الهمم على البحث عن الحقيقة وعلى احترام العقل وعلى إجلال فضيلة العدالة كما سنذكر ذلك فيما بعد. وهل الفلسفة النظرية الإغريقية شىء آخر غير البحث عن الحقيقة؟ وهل الفلسفة العملية شىء غير تطبيق الفضائل التى أهمها - بعد الحكمة - الناجمة عن احترام العقل المشروط فى الفلسفة المصرية - هى فضيلة العدالة التى استقامت بها كفتا ميزان السماء والأرض؟

نقل العام

كان كل ما أسلفناه لك من تطورات دينية ومن محاولات قوية فى التوفيق بين الدين والعقل هو تعقلات الخاصة والمستنيرين. أما العامة فكان لهم تعقل يخالف هذا مخالفة طفيفة حينا وشديدة حينا آخر، فهم لما وجدوا «أثوم» المتمزج عند الخاصة برع لا زوجة له ولم يستطيعوا أن يعقلوا أنه الذى سماه الخاصة «فعل الشمس» ونسبوا إليه نشوء الفراغ والهواء زعموا أنه ولد طفلين بطريقة لا ترضى عنها الأخلاق، وهما الهواء والفراغ، فتزوج ذكرهما أنثاهما فولدت له السماء والأرض. وهذان الأخيران أيضا قد تزوجا بدورهما، ولكنهما التصقا ببعضهما التصاقا محكما يحول بينهما وبين تحقق وجود الكائنات؛ فلما رأى الهواء ذلك اجتهد فى تفريقهما فسعى حتى مر من بينهما ففصلهما ورفع السماء إلى أعلى فوق ذراعيه، فغضب الزوجان من هذه الفقرة غضبا شديدا وما زالا يجتهدان فى إلزائها حتى الآن. وما الجبال الشاخنة التى تحاول الوصل بين الأرض والسماء إلا من نتائج هذا المجهود الذى يحاوله الزوجان. غير أن هذه الفقرة التى آلمت الزوجين إبلا ما شديدا كانت سعيدة، لأنها سمحت للكائنات الحية بالوجود فوق الأرض كما سمحت للشمس بأن تظهر من السماء، ولكن سكان «هيليوبوليس» الذين كانوا على وفاق فى هذه الأسطورة يبدأون بعد هذه النقطة يختلفون، فيذهب بعضهم إلى أن «نوت» الذى هو عند الفريق الأول أحد الزوجين المتفرقين إنما هو البقرة العظمى الخالدة التى تنسل كل يوم عجلا هو شمس ذلك اليوم؛ أما زوجها فهو «رع» نفسه، ولذلك أصبح «رع» فى نظر هذا

« سو ، فـه جيب ، فـه أوزيريس ، فـه هوروس ، فـه فرعون ؛ وبهذا استطاع الشعب أن يؤول عقيدة الخاصة في ألوهية فرعون ، ولعل القارىء لا تخفى عليه فطنة أولئك العامة الذين حينما رأوا الخاصة يؤطون فرعون ، ابتدعوا لذلك مبررات لبقة تسير في طريق منسق من رع إلى فرعون

نظرية الفكر المصرية أو أصل المثل الأفلاطونية

كان المصريون يعتقدون أن الاسم هو كل شئ. في الكائن وأنه لا كائن بدون اسم ، أو أن الاسم هو الفارق الأواحد بين العدم والوجود . لهذا تقول الآية المصرية القديمة : « إن جميع الآلهة قد خرجوا من فم رع ، وأن رع هو الذى خلق كل عناصر الطبيعة » . ومعنى هذا أن « رع » هو الذى سمي الآلهة والعناصر ، وكان أول من نطق بأسمائها جميعاً . ومن حيث إنه كان إذ ذاك وحده ، فيكفى لإيجاد الإله أو العنصر أن ينطق باسمه فيما بينه وبين نفسه أو أن يفكر فيه لأن نطق الاسم باللسان ليس إلا تعبيراً عن المسمى الموجود أو الفكرة التى يحتويها القلب والتى هى جوهر الأشياء جميعاً وبدونها لا يفوز بوجود بالكينونة . وقد ذهب كهنة « هيليوبوليس » ، أو مدينة الشمس إلى أن الفكرة لا تتمتع الكائن الوجود فحسب . بل إنها هى التى تحفظ عليه وجوده الدائم ، فإذا قدر على أى كائن ما أن يزول اسمه من فكرة الإله ، فإنه يهوى في الحال إلى العدم المطلق . ولا أحسب أن من العسير على الباحث المتقصى أن يستكشف عناصر المثل الأفلاطونية ، واضحة جليلة في هذه الفلسفة المصرية التى سبقت أفلاطون بأكثر من ثلاثة آلاف سنة ، لأن أفلاطون يعتبر جميع هذه الكائنات المادية التى تدب على الأرض خيالات لا حقائق ، ولا يعترف بوجود حقيقي إلا لعالم « الفكر » المجرد عن علائق المادة وغواشي الطبيعة . أما هذا الوجود المشاهد بالمدركات الدنيا ، وهى الحواس ، فهو لا يزيد على أنه ظلال لعالم الحقيقة الذى لا تدركه إلا قوة البصيرة التى تخلص صاحبها من الشهوات الحيوانية ؛ وأما هذه الظلال المشاهدة ، فوجودها لا يحقق حقيقة الكائن لأنه وجود مؤقت فوق أنه خيالى . وإذا ، فلست أظننى في حاجة إلى إيضاح الرابط المتين الموحد بين نظرية أفلاطون

الفريق متزوجاً وترك حياة العزوبة القاحلة . وهناك فريق ثالث تفرع من الفريق الثانى وذهب إلى أن هذه البقرة الخالدة هى « نون » ، التى هى أصل العناصر جميعها والتى منها نشأ رع نفسه غير أنه ينبغي أن نلاحظ أن البقرة الخالدة التى هى عند بعض العامة زوجة رع وعند البعض الآخر منهم أمه ليست إحدى هذا البقر الذى يدب على الأرض ، وإنما هو تصوير لكائن عظيم كثير الخصوبة والانتاج لا أكثر ولا أقل . وهذا الفريق الأخير الذى يرى أن البقرة الخالدة هى أم رع يعتقد أنها واقفة في الجو ، وأن رع يتنزه في فلك من الذهب يسبح فوق ظهرها كل يوم من الشرق إلى الغرب على مرأى من الناس جميعاً . ولما أدركته الشيخوخة ، وكانت أعضاؤه من ذهب . وعظامه من فضة ، فقد طمع البشر في أن يستولوا عليه وأخذوا ينظرون إليه بعين الشراهة ، فشأ كته منهم هذه الجرأة الوقحة وصمم على عقابهم ، ولكنه أبى أن يستبد بإصدار هذا العقاب فدعا مجلس الآلهة للانعتقاد وعرض عليه هذه القضية ، فأشارت عليه أمه بأن يبعث فيهم الإلهة « هاتور » ، تريق دماءهم وتقطع أعناقهم جزاء وفاقاً لوقاحتهم وطعمهم في الآلهة ؛ وقد كان ، فنزلت الإلهة هاتور مقتلة مدمرة حتى ملأت سطح الأرض دماء ، وكانت ستظل على هذه الحال حتى تبيد جميع العنصر البشرى لولا أن أخذت الإلهة الشفقة على الإنسان من جديد ، فصمم على العفو عنه ، ولكنه لم يستطع اقناع « هاتور » ، الجبارة بالعدول عن خطئها التى كلفها بها مجلس الآلهة فأحضر لها عصيراً أحمر من بعض الفاكة وأنبأها بأنه من دماء البشرية التى تحقد عليها فشربته مسرورة ولم تعد تميز شيئاً ، وبهذا وقف القتل والتدمير

وبعد أن كف رع حركة القتل عن بنى الإنسان أحس بتفوق من استمراره في الحكم مع هذه الشيخوخة فاعتزل السلطة آسفاً محزوناً على الشباب وقوته . وقد انتهزت « ايزيس » هذه الفرصة الذهبية فاتجهت إلى رع وأنبأته بأنها تستطيع أن تعيد إليه الشباب على شرط أن يكشف لها عن اسمه الأعظم الذى لا يعرفه إلا هو . وما زالت به تغريه حتى حصلت على بغيتهما التى كانت تعلم أنها تنيلها كل فرصة ، للتصرف في الكون ثم مرت هذه السلطة بالتتابع إلى الآلهة

هكذا قال زرادشت

الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الموعظ

ما الحياة إلا ينبوع مسرة ، ولكن أيان شرب الوغد
فهنا لك جدول مسموم . أحب كل ما هو نقي ، ولكنني
لا أحتمل رؤية الأشداق تتأب معلة ظمأ الأرجاس ، وقد
جاؤا يسبرون أعماق البئر بأنظارهم فانعكست في قرارتها
ابتسامتهم الشعاء توجه سخريتها إلى .

لقد دنسوا المياه المقدسة بأرجاسهم ، وماتورعوا فدعوا
أحلامهم القدرة سروراً فدنسوا سمومهم حتى في البيان .
إن اللهب يتعالى مشمراً عند ما يعرضون قلوبهم المائعة عليه ،
والروح نفسها تغلي وتتصاعد بخاراً عند ما يقترب الأوغاد
من النار ، والآثمار نفسها يفسد طعمها وتراخي عند ما يلبسونها
بأيديهم ، وإذا ما حذجوا بأنظارهم الأشجار المثمرة فإنها لتجف
على أعراقها .

لكم من موعظ عن الحياة لم يفره منها سوى الوغد
الزئيم ، فغافها إذ لم يشأ أن يقاسم هذا الوغد ما عليها من ماء
ولهب وأثمار .

لكم من شارد لجأ إلى الصحراء متحملاً السعار عائشاً
بين الوحوش كيلا يجلس إلى بئر يدور بها حداة العيس
بما عليهم من أقدار .

ولكم جاء الأرض من مكتسح أشبه بالبرد المتساقط
من السحاب ولا أمنية له سوى ضرب قدمه في أشداق
الأوغاد ليسد حناجرهم .

ما صعب على الاعتقاد باحتياج الحياة إلى العدا والقتل
والاستشهاد كما صعب على التسليم بضرورة وجود الوغد
الزئيم فيها .

أمن ضرورة الحياة هذه النايح المسممة والنيران المشبوبة

هذه وبين قول المصريين : « إن الفكرة لا تحقق للكائن
وجوده لحسب ، بل هي وحدها التي تضمن له دوام هذا
الوجود ، أوقولهم : « إن جميع الموجودات قد خرجت من
فم (رع) وإنه يكنى لايجاد الكائن أن يجري اسمه على لسان (رع)
بعد أن مرسمه بقلبه ، لأن اللسان ليس إلا معبراً عن الجنان ،
أليس في تعبيرهم بأن الفكرة وحدها كافية لتحقيق الوجود
وخلوده تصريح واضح بأن كل ما عدا الفكرة في الكائن
لا يؤبه له ؟ ثم أليس في قولهم : « إن الموجودات كلها خرجت
من فم (رع) إيدان بأن المادة المحسة لا يستحق منها بالوجود
إلا فكرتها التي خطرت لرع وان المحس منها لا قيمة له ؟

لا ريب أن في هذا الاكتشاف الذي أسجله اليوم على
صفحات هذه المجلة ردّاً جديداً على أرسطو و « سانت هابر »
ومقلديهما وأذناهم القائلين باستقلال الفلسفة اليونانية وعدم
تأثيرها بالفلسفات الشرقية ، كما أن فيه ردّاً بليغاً على ذلك
الفريق الذي يحط من شأن العقلية الشرقية ، لأن مذهب
« المثل » - وهو أسمى ما أنتجته العقلية الغربية - هو مشيد على
أساس هذه النظرية المصرية ما في ذلك لبس ولا ارتياب .
وكما أن الفكرة هي التي تمنح الوجود للحوادث وتحفظه عليها ،
هي تحفظ الوجود الكامل كذلك على « رع » نفسه . ولهذا
السبب اهتم بأن يخلق العالم ، لكي يظل اسمه حياً منبثاً في
جميع عناصر الطبيعة ، مذكوراً على ألسنة أفراد المخلوقات
حتى يضمن لنفسه وجوداً كاملاً من كل الوجوه ، لأن تعقله
هو لذاته لا يكنى في تحقيق الوجود الكامل إلا إذا خلا الكون
من جميع ما سواه ؛ أما وفي الوجود كائنات أخرى ، فلا
يتحقق له الوجود الأكمل إلا بتغلغل فكرته في كل قلب
وجريان اسمه على كل لسان .

ومن هذا التغلغل نتج دور تفكيرى عجيب ، وهو أن الإله
ضرورى للإنسان بحيث لا يمكن وجوده إلا به ، وأن الإنسان
ضرورى للإله بحيث لا يمكن استمرار وجوده الكامل إلا
بتغلغل الإنسان إياه وتفكيره فيه ونطقه باسمه . ولا ريب
أن هذه الدائرة قد أعلت من شأن الكهنة ، لأنهم هم أكثر
الناس ذكراً لأسماء المعبودات ، وبالتالي هم أكثر الناس تأثيراً
في احتفاظ الآلهة بوجودهم الكامل .

(يتبع)

محمد محمد

ثلوج نقتى ، فأصبحت وكل جوارحى تتوق إلى الاصطياف .
إن خير الراحة ما تنتجع في أعالي الجبال قرب الينابيع الباردة .
إلى أيها الأصحاب لنحول هذه الراحة إلى غبطة وجور فهذه
ذروتنا ، وهنا موطننا حيث نعتصم بالصخور فلا يبلغها
الأرجاس ولا يصل إليها عطشهم المدنس .

أرسلوا أنظاركم الطاهرة على ينبوع مسرقي ، أيها الأصحاب ،
فإنها لن تعكره بل تبقى على نقائسه فيتسم لكم .

هنا تتعالى دوحة المستقبل ، فلنبن لنا عشاً بين أغصانها
فتجىء إلينا العقبان حاملة لنا الغذاء ، نحن المنفردين .

ذلك غذاء لا يستطيع الأرجاس مقاسمتنا إياه فهو النار
تحرق أشداقهم . وما نعد هنا ضاكن للبدنسين ، فإن سعادتنا
تلفح أجسادهم وأرواحهم . ونحن نريد أن نحيا فوقهم فنهب
كالرياح في مسارح العقبان ومطالع الشموس .

إتني سأعصف كالريح الصرصر على الأرجاس فأنخذ
أنفاسهم بأنفاسي ، ذلك هو المقدور . فما زارا إلا ريح عاصفة
ترهق الاعماق ، وهو ينصح أعداءه وكل متقيي نافث بالألا
يصفقوا في وجه الرياح .

هكذا تكلم زارا ..

معجزات العلم الحديث

المرج المنطيسي أو الطب الطبيعي

تعريب الأستاذ عطا الله حنا

إذا أردت أن تعرف أسرار الطب الطبيعي ومعجزاته
الحديثة وتضمن شفاء أى مرض من الأمراض العصبية
أو الباطنية بطريقة سهلة بسيطة فادرس هذا الكتاب القيم
وطبق النظريات على الرسوم تضمن الشفاء التام .

ارسل ١٢ إلى إدارة مكتبة ومطبعة التأليف

بشارع عبد العزيز بمصر يصلك خالص أجره البريد

تفوح بالروائح الكريهة وهذه الأحلام الرجسة وهذه الديدان
ترعى في خبز الحياة ؟

ليس العداء ما قرض حياتي بل الكراهة والاشمئزاز .
ولكم استثقلت الفكر نفسه عند ما رأيت شيئاً من الفكر
في رأس الوغد الزنيم .

لقد ولّيت ظهري للحاكمين عند ما أدركت معنى الحكم
في هذه الأزمان وتأكدت أنه إنجاز بالقوة ومساومة
الأوغاد عليها .

استولى اليأس على فاجتزت مراحل الماضي والمستقبل
وأنا أسد أنقى إذا انتشرت على منها روايح البيان السخيف
لقد عشت طويلاً كالكسيح أصابه الصمم والعمى
والخرس كيلا أعاش أوغاد السلطة وزعائف الأقاليم
والمسرات

ارتفع فكري درجة فدرجة وهو يعاني من حذره
ما يعاني ولا عزاء له إلا بالغبطة ؛ وهكذا مرت حياة الأعمى
وهو يتوكأ على عصاه .

ماحدث لي ياترى ؟ وما الذي أنقذني من اشمئزاضى
وأعاد النور إلى عيني ؟ وكيف تمكنت من ارتقاء المرتفعات
حيث ينبوع الذي لا يحيط به الأوغاد ؟

أهى الكراهة نفسها استنبتت جناحي وأوجدت لي القوة
للاهتمام إلى مفجر الينابيع ؟ والحق أتني ارتقيت الذروة ،
ولولم أبلغها لما وجدت ينبوع الغبطة والسرور .

لقد وجدته ، أيها الأخوة ، فرايته يتدفق على الذروة غبطة
وجوراً ، فاهتديت إلى المكان الذي يتاح فيه للإنسان أن
يروي ظمائه دون أن يعكر عليه الأوغاد الأدنياء

إنك لتسيل بشدة ، أيها ينبوع المتفجر بالغبطة فتفرغ
الكأس التي تملأها دهاقا ،

على أن أتمرن على الاقتراب منك بتودة ، أيها ينبوع
فإن قلبي يتدفع بعنف إلى مسيلك . لقد استولى اليأس مع
الجور على هذا القلب الذي تمر عليه بحر ها أيام صيفه فهو
يتشوق إلى مياهك تنزل عليه برداً وسلاماً .

لقد انقضت أحزان ترددى في الربيع وأذاب الصيف



السياسة والروح العام

جاءنا من الأستاذ محمد فريد أبو حديد هذا الكتاب تليفاً على كتاب الأديب محمد زهدي ناصر وتوضيحاً لتعقيباتنا عليه ونشره شاكرين للأستاذ مساهمته الحرة في دعوة الرسالة

اطلعت في مجلتكم الغراء على مقال للأديب محمد زهدي ناصر ذهب فيه إلى أن دعوة الشباب إلى الاشتغال بالسياسة فيه مضیعة لجهودهم وفيه إقحام لهم في ميادين لا يستطيعون اقتحامها ولا يحمل بهم التلوث بما فيها من الأدرا ن وهم لا يزالون في سن البراءة والاختلاص، وأنه أجدى بهم أن ينصرفوا إلى العلم والدرس حتى يستطيعوا أن يستفيدوا بوقتهم أكبر استفادة .

والحق أن الأديب على حق في رأي إذا كان المقصود هو اشتغال الشباب بالسياسة العملية، فإن تلك السياسة أشد تعقداً وأوعر مرتقى من أن يجازف بشبابنا فتدخله في ميدانها . ولقد كان رد الرسالة على حضرته رداً صائباً، ولكنني أخشى أن يكون المحرر الأديب الذي كتب ذلك الرد لم يوضح التفريق بين السياسة والروح العام إذ قال : « على أن السياسة التي نريدها للشباب أوسع وأشمل مما يتصوره الكاتب الفاضل ؛ فالسياسة دعوة وتديير وقيادة ؛ وقوى البلد المادية والأدبية معطلة من طول الاغفاء والترك ؛ والاحساس الشاب هو وحده الذي يستطيع أن يحرك في طبقات الشعب هذا الجود المزمع بالدعوة الصادقة والارشاد الصالح والقذوة الحسنة ، فالأستاذ المحرر يريد أن يفرق بين أن يعمل الشباب في ميدان السياسة العملي وأن ينغمز في تيار الاختلاف الحزبي ، وبين أن يكون الشباب عاملاً جاً تتوئب فيه الحماسة إلى ما فيه خير المجموع وتنقد فيه الروح العامة التي تتجه إلى إعلاء الوطن ورفق

أهله من كل الوجوه . فهذا الروح العام الذي يتجه نحو المثل الأعلى جدير بأن يملأ قلوب الشباب، وليس فيه ما يشغل عن الدرس والعلم، بل إن قلب الشاب الذي يخلو من الاهتمام بأمور وطنه العام ولا يشور إلى الرغبة في خير مواطنيه ورفعة شأنهم لهو قلب فاجر قليل الخير .

إن أعز ذكريات الشباب التي نحمليها هي تلك الرغبة المتوقدة في خدمة الوطن، وهي تلك الأمانى التي كنا نسعى جهدنا إلى تحقيقها، إذ كانت الأمانى لاتزال طليقة، وإذ كان القلب لا يزال قوى النبضات

محمد فريد أبو حديد

جمعية الانبعاث القومي

وجاءنا من الأديب صاحب الامضاء ما يأتي :

حيا الله ، الرسالة، في عهدها الجديد : عهد توجيه شباب مصر إلى واجبه الاسمي نحو مصر .

وبارك الله في أستاذنا الكبير صاحبها، وجعله نبراساً طامعاً للعاملين المخلصين من أبناء مصر، في سبيل مجدها ونهضتها .

وبعد : فلي كلمة متواضعة . من حق أو من واجبي - كشاب - أن أدلى بها في موضوع الاقتراح الناضج الذي نشر في العدد السابق من الرسالة . تحت عنوان « الزحف الاجتماعي » . أرجو - مختصاً - أن يكون لها أثرها المفيد عند تنفيذه .

اقترح لا إخالني أجنب الصدق إذ أقول إنه اقترح شباب مصر جميعاً . قام بواجب التبليغ عنهم أحدهم وأدى رسالته أميناً مشكوراً .

أرى ، لضمان نجاح هذا المشروع القومي الجليل . وتمشيا مع ظروفنا الحاضرة ، أن توفر لتنفيذه على الوجه الأكمل الشروط الآتية وهي :

أولاً : — تضامن شيوخ الأمة مع شبابها .

ثانياً : — أن تكون قيادة المشروع للأمة وحدها . وتؤلف لهذا الغرض جمعية ، أسميها جمعية الانبعاث القومي . من عناصر قوية بارزة تمثل كلا من الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية ، والصحافة المصرية . والمؤسسات المصرية وعلى رأسها بنك مصر ثالثاً : — على الحكومة ، فقط ، تعبيد الطريق للعاملين دون التدخل ، فضلا عن الرقابة ، إلا في حدود القانون .

رابعا : — أن يكون عنصر الرواد من الجنسين ، ويشترط فيهم الكفاية والأهلية ، ويعطى تشجيعا للمتطلين منهم مكافآت مالية ثابتة .

خامسا : — إدماج الجمعيات الخيرية والعلمية والثقافية الموجودة حالاً تحت لواء جمعية الانبعاث القومي توحيداً للجهود والأغراض

سادسا : — أن تقوم بالنفقة الأمة وحدها في شخص الأغنياء من جميع الطبقات ومتوسطى المعيشة من أفراد الأمة ، عن طريق الإعانات الدورية ، والاشتراكات الشهرية سابعا : — الاحتفاظ بقومية المشروع من المبدأ إلى المنتهى

سبر عويس

عبرة الشباب من حفلة التتويج

شهد الأسبوع الماضي في لندن مهرجانا قلما يجود الدهر بمثله . ذهلت فيه إنجلترا عن مشاغلها ومشاكلها ، في خارجها وفي داخلها ، ثم راحت تخرج تاريخها الرائع الساطع من كنوز ماضيها الجليل الأثيل لتجعل منه الدرة الكبرى لتاجها الماسي الذي تضعه من جديد ، على مفرق ملكها الجديد .

سمع الناس وصف المهرجان في الراديو ، ورأى الناس مناظر المهرجان في السينما ، فتمثلت لهم عظمة هذه الأمة العريقة

على أروع ما يتصوره الخيال ويدركه الحس : تقاليد الماضي العتيقة في جدة الحاضر الطريفة ؛ وقرع النواقيس بجانب قصف المدافع ؛ ومظاهر الارستقراطية النبيلة في وسط الديمقراطية الأصلية ؛ وملك أثقلوه بالماس والذهب ، وقلدوه السيوف والصرايح ، وألبسوه الحلل والمعاطف ، وضمخوه بالزيت المبارك ، وأجلسوه على كرسي متأكل فوق حجر منسوب إلى يعقوب . وأركبوه مركبة بالية نائية طافت به شوارع لندن ؛ ثم رئيس الاساقفة في طقوسه الغريبة ، وكبار النبلاء في أرويتهم العجيبة ؛ وهذه القوى الثلاث : قوى الملك والدين والنبيل هي التي كانت تحكم الدنيا الغربية أيام كان الزمان غير الزمان ، والإنسان غير الإنسان ، فأصبحت اليوم من عبر التاريخ التي تعرضها إنجلترا على أعين الأمم الحاشدة في لندن وهي تقول لهم : انظروا ماذا كالتحت الأمة الانجليزية حتى ظفرت بالحرية والديمقراطية والدستور ! هل منعنا احتفاظنا بالتقاليد من أن نكون أمة التجديد ، واحترامنا للدين من أن نكون أمة المدنية ، وإخلاصنا للملك من أن نكون أمة البرلمان ؟

في هذا الذي تسمعه وتراه من أمس الانجليز ويومهم جواب مفحم لأولئك الغلاة الذين يريدوننا على أن نتجرد من الماضي العظيم ، وتنخلي عن التراث الكريم ، ونخرج إلى العالم كما تخرج اللقطاء إلى الوجود ، لا تلبد بغذى الطريف . ولا نسب يرفع الحسب .

إن شخصية الفرد هي مجموعة مزاياه الخاصة في التفكير والخلق والتصرف ، وشخصية الأمة هي مجموعة تقاليد الصالحة من العادات والاعتقادات والنظم . والشخصية هي حافزة الفرد على النهوض ، ودافعة الأمة إلى الاستقلال ؛ فإذا عبث بها عبث من النزق أو الضعف انمحي طابع الفرد فشاع ، وفنيت قومية الشعب خضع .

وإذا قال لنا الانجليز أقوى دول الغرب ، واليابان أقوى دول الشرق ، إن الحاضر الثابت لا يقوم إلا على الماضي الراسخ ، وإن الحوافز الشخصية لا يقو بها إلا السنن القومية ، كان شبابنا أحرى بأن يقولوا لأولئك الناعقين : لا تتجملوا بحجل الغراب ، ولا تنصبوا مضخكم على السراب !



قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي بك

مدير مصلحة الكيمياء

— ٤ —

ولكن هكذا كان إرليش في بحثه . كان كأنه البحار الأول يبحث بين أخشاب الشجر عن أوقتها لصناعة مجاذيفه . كان كالحداد الأول ينكش معادن الأرض يتحرى أنسبها لسبك سيوفه . كانت في اختصار طريقة بدائية هي أقدم طرق الإنسان للوصول إلى المعرفة ، طريقة المحاولة الطويلة والعرق الكثير في سبيلها . وتقسمها بينهما ، فقام إرليش بالمحاولة الطويلة ، وقام شيجا بالعرق الكثير . وتلونت أجسام الفئران ألوانا كثيرة ، فمن الأحمر ومن الأصفر ومن الأزرق ، ولكن التريينسومات اللعينة تكاثرت وازدحمت ورقصت في دماها ثم قتلت الفئران جميعا مائة في المائة

وزاد إرليش في سجنائه الأجنبية الغالية تدخيناً ، حتى في الليل كان يقوم ليدخن منها . وزاد شربه المياه المعدنية . وقذف بالكتب إلى رأس قدريت المسكين ، وعلم الله ما كان مثله ليلا على جهله السبب في أن هذه الأصباغ لا تقتل هذه المكروبات . ونطق إرليش باللاتينية جملا رنانة ، وابتدع أغرب النظريات يشرح بها ما ينتظر من هذه الأصباغ أن تفعله ، وابتدع منها أعدادا لم يسبقه باحث إلى إبتداع مثلها من نظريات كلها خاطئة . ولكن في عام ١٩٠٣ جاءت إحدى هذه النظريات الخاطئة تأخذ بيده فتهديه سواء السبيل

فذاذ يوم كان إرليش يمتحن ما تصنع أصباغ فصيلة البنزو بريورين benzo-purpurin في الفئران ، وهي أصباغ معقدة التركيب جملة ، فوجد أن الفئران لا تحفل بها وتموت في تواصل مسم لا انقطاع فيه . فتقطب جبين إرليش وقد كان مقطباً خلقة من هموم عشرين عاما لم يجد فيها النجاح إلى أعماله سيلا . فقال لشيجا : —

« إن هذه الصبغة لا تنتشر انتشارا مرضيا في جسم هذا الفأر ، فلو أننا يا عزيزي شيجا غيرنا تركيب هذه الصبغة قليلا ؛ لو أننا

وفي عام ١٩٠٢ أنبرى إرليش يطلب غايته ، فأخرج كل ما لديه من الأصباغ وسواها صفاً صفاً فلمعت وبرقت واختلطت لآلؤها . وتقاصر متقرفصاً أمام قطراتها فترات زجاجاتها على رفوفها كالنفسيساء الرائعة في اختلاط ألوانها . فصاح لما جرت عينه عليها : « ألا ما أجل وأجل ! » . ثم اقتنى لنفسه طائفة كبيرة من أصح الفئران . واقتنى لنفسه معها دكتوراً يابانياً مخلصاً غاية الاخلاص في عمله ، صبوراً غاية الصبر فيه ؛ وكان اسمه شيجا Shiga ، وكان عمله ملاحظة هذه الفئران وقص قطع من أطراف ذبولها ليأتى منها بنقطة من الدم يبحث فيها عن التريينسومات ، أو قص قطع أخرى من نفس الذبول ليأتى منها بنقطة دم يحقنها في دم الفأر السليم التالي وهلم جرا . واختصاراً كان واجبه أن يقوم بكل الأعمال الثقيلة الطويلة التي لا ينهض بها إلا جهد الياباني وصبره . وجاءت التريينسومات اللعينة إليه أولاً من معمل بستور بباريس في خنزير غني حق عليه الفناء . ومن هذا الخنزير أخذها وحققها في أول فأر ، ومن ثم بدأ الطراد

وجربوا في هذه الفئران نحواً من خمسمائة صبغة تجارب اعتباراً وخطبات عشواء لا تمت بسبب إلى الأسلوب العلمي ،

أذنا هذا الفأر تحمران ، وانفتحت عيناه بعد انغلاق ، وأخذ يياضهما يستحيل إلى لون الورد فيزد في احمراره على حمرة إنسانيهما . هذا يوم إرليش الأسعد : هذا اليوم الذى خبأته له الأقدار طويلا وخبأت فيه مجده . فلك الترينسومات ذابت بدم الفأر ذوبانا في وجه هذه الصبغة كما ذوب ثلج الأرض إذا طلعت عليه شمس إبريل الدافئة . تساقطت كل هذه المكروبات واحدة بعد واحدة حتى أخيرة الوحدات ، أسقطتها تلك الصبغة المسمومة ، تلك الرصاصية المسحورة التى طلبها طويلا حتى وجدها أخيرا . والفأر ، ماذا كان منه ؟ انفتحت عيناه بعد انغلاقها وأخذ يحوس بمنخره في سقطة الخشب بقاع قفصه حتى جاء يتشمم جثة زميله الذى لم يعالج بالصبغة وقد ارتمت هامة باردة يرقى لها .

هذا أول فأر على ظهر هذه الأرض نجاة من شريرة هذا المكروب . أنجاه إرليش بفضل المثابرة والحظ ، وبفضل الله ، وبفضل صبغة أسموها « أحمر التريان Trypan red » ، وأما اسمها الكيماوى فيطول كثيرا . وما أنجاه حتى زاد جرأة على جرأته ، وزادت أحلام هذا اليهودى الألمانى توثبا . قال يحلم : « ما قد وجدت صبغة تشفى فأرا ، فلا جدن أخرى تشفى ألف رجل ، ولم يتحقق رجائوه بالسرعة التى تمنى ، واستمر شيجا يضرب أحمر التريان في أجسام الفيران في جلد شنيع ، فشفيت بعضها ، وساء حال بعضها . وقد يظهر على أحدها أنه يرى فيلعب ويمرح في قفصه ، ثم يمضى عليه ستون يوما فيطلع عليه الصباح بسوء المزاج ، فيأتى شيجا فيقص قطعة من ذيله ثم يدعو إرليش ليريه المكروب الحى الفظيع وقد كثر في دم الفأر حتى تلبد . ما أفضح هذه الترينسومات ، وما أخدعها وما أصلب عودها ! إن كل المكروبات الفظيعة عودها صليب ؛ وإنك لو اجد هذا المكروب أصلب المكروبات عودا . وكيف لا وهذا هو قد اجتمع عليه ألمانى ويابانى فنفذاه بتلك الصبغة الزاهية فلحقها واستمرأها . وقد يتراجع عنها في حذر وتبصر ويتحى لنفسه منجى عن السوء في بعض نواحي الفأر ، ولكنه يتربص الفرص ليخرج ويتكاثر مرة أخرى .

مثلا أضفنا إلى جزئها المجموعة الكبريتية sulpho-group^(١) فلعلم عندئذ تنوب في دم هذا الفأر وتنتشر بذلك فيه . وتقطب جبين إرليش . ولم تكن يد إرليش بيد الكيماوى الصناع ، ولكن رأسه كان مستودعا عظيما ودائرة معارف واسعة لم الكيما . وكره الأجهزة المركبة بمقدار ما أحب النظريات المعقدة . ذلك أن لم يكن يدري ماذا يصنع بالأجهزة . وإذا هو تناول الكيما . بيده فانما يتناولها للهو تناول اللاعب في الماء يخوض في الشاطئ . الضحل ويخشى التعمق فالغرق . يبدأ ألف بدء بألف تجربة في أنابيب اختبار ، فيلقى من هذه المادة على هذه ، ومن هذه على تلك ، وينظر ما أثر هذا في تغيير لون الصبغة ؛ ثم هو يخرج متدفعا من معمله ليرى أول شخص يلقاه جمال ما وجد ، ملوحا بالاثوبية في وجهه صارخا فيه : « أنظر أى جمال ! أنظر أى بدع ! » . أما التركيب الكيماوى الدقيق وخلق المواد الكيماوية بعضها من بعض فعمل لم يكن له إلا أساندة الكيما . وأبطالها .

وصاح إرليش : « لابد من تغيير تركيب هذه الصبغة قليلا ، وإذن تنفع حيث لم تنفع من قبل ! » . وكان كما تعلم رجلا مفراحا بمراحا ، وكان من أظرف الرجال وأجهم إلى الناس ، فلم يلبث أن عاد من مصنع الأصباغ القريب وفي يده تلك الصبغة المذكورة وقد ألصقوا بجزئها المجموعة الكبريتية المطلوبة فتغير تركيبها التغير القليل ، المطلوب

وضرب شيجا بمحقنه تحت جلد فأرين يطلق فيها ترينسومات داء الورك . ومضى يوم ؛ ثم أعقبه يومان ، فأخذت عيون الفأرين تلتحم جفونها بهلام الموت ، وقفت شعرهما وتعامد هلعا من الفناء المنذر ، ولم يبق إلا يوم واحد حتى ينتهى أمرهما جميعا... ولكن صبيرا ! فتحت جلد أحدهما ضرب شيجا محقنه يطلق في جسمه تلك الصبغة الجديدة الحمراء التى تغير تركيبها قليلا . وشهد إرليش ما صنع شيجا ، وأخذ يتمتم ويدمدم ويقبس الأرض بخطى ذاهبة آية ، ويضرب يديه ورجليه . وما هى إلا دقائق حتى أخذت

(١) هي مجموعة معروفة للكيماويين تتركب من الكبريت والاكسجين وثقل في المركبات كوحدة قائمة بذاتها (الترجم)

فأرليش لم يكذب يستمتع بنجاحه الأول القليل حتى توالى عليه ألف خيبة وخيبة .

فالتريبنسوم الذي وجد داود بروس David Bruce أنه سبب مرض الناجانا (١) Nagana ، وكذلك التريبنسوم الذي يسبب مرض النوم sleeping sickness ، كلاهما يرقا لأحمر التريبان وهزما منه وضحكا عليه وأبيا كل الآباء أن يقرباه ، كذلك وجد إرليش أن الصبغة التي نجحت نجاحاً باهراً في الفيران ، أخفقت كل الاخفاق لما جربت في الفيران البيضاء والخنازير الغينية والكلاب . له الله ما كان أكثر جلده على مشقة مثل هذا العمل الطويل المسمم الذي لم يكن لينهض به إلا رجل ملحاح مثله رأى بشائر النجاح في شفاء فأر واحد فتشبت بأن النجاح سوف يأتي كله ولو امتد به الزمن واشتد عليه العمل ،

إنك لو عرفت كم قتل إرليش من الحيوانات في تجاربه لقلت : « يا خسارتها ، وأنا مثلك كنت شديد الإيمان بالعلم معتزاً به وبسرعة إنتاجه اعتزازاً بلغ حد الغرور والغباء ، فكنت مثلك أقولك : « يا خسارتها ، ولكن لا . أو إن شئت فقل إنها خسارة كبرى ، ولكن اعلم إلى جانب هذا أن الطبيعة ذاتها كثيراً ما تجود بأبرع أنتجتها ولكن بعد أن تبذل وتسرف في البذل في سيلها عن سعة عظمى . ومع هذا فلا بد أن تذكر أن إرليش تعلم من هذه الخسارة درساً قيمياً : هات صبغة لا نفع فيها إلا ازدهاؤها وجمالها ، وغير تركيبها الكيميائي قليلاً ، تستحل إلى دواء ذي شفاء . فهذا الدرس نفع إرليش وملاءة بالثقة وهو الواصل المعزز بنفسه دوماً أبداً

وزاد معمله على الزمن اتساعاً ، وزاد نصيبه من محبة الناس واحترامهم . واعتقد أهل المدينة فيه العلم وفهم كل خفية من خفائهم وحل كل طلسم من طلسم الطبيعة . وعلّموا فيه النسيان فأحبوه لهذا النسيان . وتحدثوا فيما تحدثوا أن السيد الأستاذ الدكتور إرليش كان يعلم من نفسه النسيان ، فتحنن أحيان الأفراس في بيته فيضرب لها الموعد للاحتفال بها ، فيخشى أن

ينسى المواعيد فيكتب لنفسه بنفسه خطابات في البريد يذكر نفسه بها . قالوا : « ما أسماها إنساناً . . . وقال الحوذبون الذين اعتادوا حمله كل يوم إلى معمله : « ما أعمقه مفكراً . . . وقال لاعب الأرغون في الشارع ، وكان إرليش يتحفه بالحلوان الطيب كل أسبوع ليضرب له بموسيقى الرقص في البستان بجوار معمله . قال : « لا بد أن هذا الرجل عبقري . . . وكان إرليش يكره الارستقراطية في الموسيقى والآداب والفنون ، ويرى أن موسيقى الرقص تدر عليه أحسن أفكار . وقال أهل المدينة الأخيار : « ما أكثر ديمقراطيته في الحياة إذا هي قورنت بأرستقراطيته في العلم ، ، سموها شارعاً باسمه في فرنكفورت . ولم يبلغ سن الكبر حتى قالوا فيه ما قالت أساطير الأولين

ثم عبده أثرياء القوم . وفي عام ١٩٠٦ نزل عليه السعد من السماء ، فوهبه امرأة تدعى فرنسكا إسباير ، Franziska Speyer ، وكانت أرملة لصاحب مصرف ثرى مبلغاً عظيماً من المال لينبئ معملاً يسميه « جورج إسباير » ، وليشتري حاجته من الأدوات الزجاجية والفئران ، وحاجته من حذاق الكيميائيين الذين يستطيعون بتلوين يد أن يخلقوا كل صبغة حيوية إليه ، وأن يركبوا كل العقاقير الكيميائية التي يركبها هو تخطيطاً على الورق . ولولا هذه الهبة من هذه السيدة ما استطاع إرليش أن يصنع رصاصاته المسحورة أبداً ، فلصنعها احتاج إلى مجهود هذا المعمل الكبير ، هذا المصنع المليء بالبحاث . وفي هذا البيت ترأس إرليش على بحاث كيميائيين وسادة مكرويين فكان كرئيس شركة تخرج في اليوم آلاف السيارات ، ولكنه في الواقع كان رئيساً عتيق الطريقة ، فلم يجر على أسلوب رؤساء الشركات الحديثين من دق الأجراس وإصدار الأوامر من كرسيه في حجرة الرئاسة . بل كان دائم الحركة جوالاً يدخل في هذا المعمل ، ثم في هذا ، ثم هذا ، في كل وقت من أوقات النهار ، ينظر ما يصنع أعوانه بل أرقاؤه وعبيده لكثرة ما يهيل عليهم من الأعمال . يدخل إلى هذا فيوبخه ، ويدخل إلى هذا فيلاطفه ويربت على ظهره ، ثم آخر يحكي له عن أخطائه صارخة أتاها هو نفسه من قبل

أحمد زكي

« بنج »

(١) داء يسبب المواشي



الى أنه المؤسس لهذا الاتجاه العظيم . فكان بذلك النابعة الفذ ، الذي لم يماثله في نبوغه أحد من معاصريه ، فقد جمع إلى القدرة الفنية ، الاحاطة بالهندسة والرياضة والعلوم الطبيعية والميكانيكا التطبيقية والموسيقى والشعر ، كما كان مهندساً معمارياً قديراً ومثالاومصوراً .

ليوناردو دافينشي

الرجل الكامل

LEONARDO DA VINCI

للدكتور أحمد موسى

— ١ —

من أزهى عصور الفن في أوروبا عصر الرفعة الإيطالية الذي اتجه فيه الفن منذ بدء القرن السادس عشر اتجاهاً مثلياً سواء في النحت أو التصوير .

وكان الميل كله منصبا على التعبير عن المثل الأعلى في النحت ، وكان العطش نحو السكال الفني بالغاً أشده ، الأمر الذي ترتب عليه اتجاه الفنانين إلى الجمع بين الجمال السامي وبين المشاهد الحية :

فعمل الفنانون العارفون على دراسة الفن الاغريقي والتبحر فيه والفورس إلى أحماقه ، مستلهمين منه الوحي ، ساعين وراء درره الفذة ، التي لولاها لما أمكن وصول الفن في عصر الأحياء إلى ما وصل اليه ، بما يحار المشاهد في تعليل المقدرة الهائلة التي ذهبت به إلى هذه الناحية العالية ، التي كانت ولا تزال رمزاً يتجه اليه الفنانون والعاشقون بكلتهم ووجدانهم .

وعلى ذلك لا مناص من اعتبار عصر الرفعة عصر إحياء للفن الكلاسيكي في جوهره ، واقتباس منه في مظهره ، ورجوع اليه في أساسه ، واستلهام منه في خياله .

ويرى المشاهد لما تركه أساطين الفن في القرن السادس عشر بإيطاليا ، أن الغاية كانت الوصول إلى أسنى وأكمل تكوين كلى ، وأرفع وأجمل مجموع إنشائي ، كما يلاحظ أن التصوير الزيتي أصبح تصويراً تاريخياً أكثر منه اجتماعياً أو منظرياً .

ولم يفز بدرجة الوصول في القرن السادس عشر إلا ثلاثة هم : ليوناردو ، وميكيلانجلو ، ورفائيل .

وإذا كنا قد تخيرنا اليوم ليوناردو دافينشي ، فإن ذلك راجع



١ — المادونا في المفارة ، متحف اللوفر

وعرف عنه أنه كان جميل الخلق جميل الطلعة نبيل الأصل ، فلا غرابة إذا أطلق عليه المؤرخون « الرجل الكامل » . كتب في كثير من الابحاث ، وله فيها آثار جليلة ، من أهمها لتاريخ الفن كتاباه البديعان « قواعد علم التصوير » ، و « الصناعة والجمال » . ولكن جوهر حياته ، وأعظم ما أنتج ووصل إلى الذروة فيه كان التصوير الذي اتخذته مهنة له عاش من أجله لتأدية رسالته فيه .

ولد ليوناردو سنة ١٤٥٢ في فيلاردينشي في حدود مقاطعة فيرنزا (فلورنسا) ، جاء صغيراً مع أبيه بيرو دافينشي إلى فلورنسا العاصمة، وترى تربية عليبة إلى أن التحق بالعمل عند اندريا فيروتشي، واستمر لديه حتى سافر إلى روما في مارس سنة ١٤٨٠ ، وأقام فيها إلى يوليو سنة ١٤٨١ ثم عاد إلى فلورنسا . على أن لوحات ليوناردو الأولى ليست معروفة كلها ، وقد أحاط بها شيء من الغموض لا يمكننا من تارها جميعاً بالفحص الوصف . ولكن هذا لا يمنع من أن نذكر أهم لوحتين له في مرحلته الفنية الأولى ، وكلتاها تمثل (التبشير) ، توجد الأولى بالوفر ومؤرخة سنة ١٤٧٠ ، والثانية بالجاليري أو فيتزي بفلورنسا مؤرخة سنة ١٤٧٢ ، وفيها ترى العذراء جالسة إلى مدخل بيتها وعلى يسار اللوحة ركع ملاك يبشرها بالمسيح ، وفي مؤخر المنظر مجموعة أشجار ذات لون طبيعي جميل .

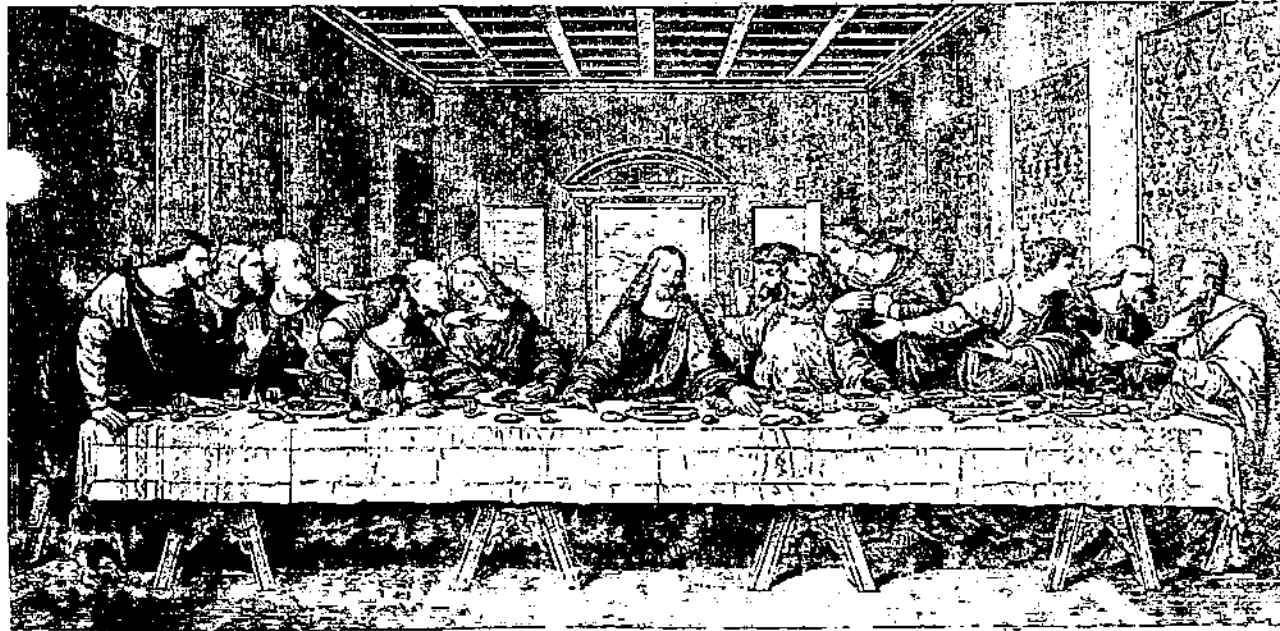
وله أيضاً جزء من لوحة معلمه فيروتشي (تعميد المسيح) ، قام ليوناردو بتصوير الملاك عليها ، وهي محفوظة بأكاديمية فلورنسا وصورة العذراء مع الطفل (متحف ميونيخ) ١٤٧٨ ، وقيامه المسيح مع القديس ليوناردو والقديسة لوتشيا (جاليري برلين) وصلاة الملوك الثلاثة للمسيح ، وهي صورة لهيكل كنيسة عملت لوضع التذكرة والتصميم باللون الاسمر (جاليري الفاتيكان) . ولعل آخر صورتين للرحلة الأولى في خلقه الفني هما الصورتان المتشابهتان اسماً وموضوعاً (الماذونا في المغارة) ، الأولى من

أما مميزات القبة فكانت المعرفة والمقدرة والخلق إلى أبعد حدود معانيها كلها . أما المعرفة فقد وصل فيها إلى حدود الدقة فأحاط بالطبيعة إحاطة غريبة ، لاسيما لإمامه بطبيعة الإنسان من الناحية التشريحية والفسولوجية ، أعان ما يفهم من إشارات الأيدي وأوضاعها ، وما تعبر عنه كل إشارة وما يقصد بكل وضع لها ، ودرس حياة الحيوان وحياة النبات ، وأخيراً المناظر الطبيعية الشاملة لكليهما ، فضلاً عن محبة الطبيعة للحيوانات ، ورغبته البالغة في مراقبتها ودراستها .

كان له الفضل في تأسيس منهج جديد في التصوير فجعله نابضاً بالحياة ، كما خلق فيه الظل والنور المزوجين كاللدخان ، بخلا كلاهما من خطوط التحديد ، وأصبح النور مندجاً في الظل متداخلاً فيه لا يستطيع الناظر إليه أن يحدد موضع الفصل بينهما .

ووصل بتسجيله للواقع إلى أبعد ما يمكن الوصول إليه وهو المثل الأعلى في الجمال ، وكان التكوين الكلاسيكي مذهبه ، كما كان الانسجام روح هذا المذهب .

وتوفر معنى الاستاذية في الانشاء الموضوعي لكل لوحاته ، لمعق بحثه ، ورقة تأثره ، وبعده عن العنف التكويني إلا في بعض لوحاته التي أصدرها في المرحلة الأخيرة من حياته ، نخلق بريشته شعراً مثوراً ، يذهب بالمشاهد إلى استمتاع العاشق بالقرب عن معشوقه ، كما لا يحرم المعشوق من كل معاني المديح والاطراء ، فتراه يظهر أجسام النساء جميلة منسجمة التكوين بعيدة عن التكلف أو التعمد .



٢ - العشاء الأخير ، ميلانو - سانتا ماري دي لاجوانيا



الفن المصري في حاجة الى الرعاية

ارتفع صوت الفنانين المصريين بالشكوى من موقف الحكومة معهم وضنها عليهم بالتشجيع والرعاية . بينما هي لا تضن بتشجيعها ورعايتها على الفنانين الأجانب الذين يهبطون مصر ويجدون فيها سبيل العيش خصبا موفورا في ظل هذه الرعاية . وفي مصر الآن طائفة لا بأس بها من الشباب الذين برعوا في الفنون الجميلة وتلقوها في أحسن المعاهد الأوربية ، وقد ظهرت هذه البراعة ماثلة في كثير من المعارض التي عرضت فيها صور وتمائيل من صنع الشباب المصري ؛ ولكن الحكومة المصرية أو بالحري وزارة المعارف لم تحفل كثيرا بمجهود أولئك الفنانين الشباب ، وقلبا عنيت بشهود ارضهم ، بينما لا تتوانى عن شهود معارض الفنانين الأجانب سواء بحضور الوزير ذاته أو بعض أكبر الموظفين ، أو شراء بعض اللوحات والقطع المعروضة . ومنذ أعوام قلائل أنشأ

الفنانون المصريون لهم رابطة لتخفيف بشؤونهم ، فلم تولها الجهات الرسمية أية رعاية ، ولم تتكرم عليها بأية معاونة . وهذه سياسة تحمل على التساؤل . ونحن لا نأخذ على وزارة المعارف أنها تشجع الفن والفنانين من أى الجنسيات ؛ ولكن الذى يحز في نفس كل مصرى أن يبقى هذا التشجيع كأنه وقف على الفنانين الأجانب ؛ وأن يترك الفنانون المصريون بلا رعاية رسمية تذكي همهم وتحقق أمانهم . وقد آن الوقت الذى يحسن أن تعدل فيه وزارة المعارف خطتها ، وأن تشمل الفنانين المصريين بسايف رعايتها

مؤتمر الفلم الدولى وبرنامجه :

يعقد المؤتمر الدولى الخامس عشر لاتحاد نوادى القلم فى باريس فى يوم الأحد ٢٠ يونيه ، ويستمر انعقاده إلى الرابع والعشرين وتقام حفلة الافتتاح فى معهد التعاون العقلى ، ويشمل البرنامج عدة حفلات واستقبالات ومآدب

ناسيونال جاليرى بلندن والثانية ش ١ - بالوفر ؛ والناظر إلى هذه اللوحة تأخذ لأول وهلة روعة القوة الانسانية ، وإحاطة ليوناردو بالمظاهر الطبيعية والتأثير بها ؛ فالمغارة الجميلة مجسمة صادقة المحاكاة ، وأوراق الشجر حية دقيقة التفاصيل ، هذا إلى جانب تصويره لطبقات الأرض على شاطئ الغدير ، فجعلها تحاكي النظرية الجيولوجية محاكاة عليية .

انظر إلى ركعة العذراء ، وإلى الطهارة المتجلية فى ملامح وجهها ، ثم تأمل قوة الاخراج الرائعة للملابس ، وشاهد الظل والنور الذى تخال انكسار هذه الملابس ، ولاحظ الطريقة الغذة التى أخرج بها اليد اليسرى للعذراء وهى تشير للدلاك ، ثم تأمل إلى جانب هذا ، الخنثى اللغائى الذى يتمثل فى الكيفية التى أمسكت العذراء بها الطفل الجالس إلى يمينها .

وقف الملاك راكعا خلف المسيح الطفل يشير يمينه إلى طفل آخر يصلى أمامه ، والمتأمل لوجه الملاك لا يستطيع إلا أن يرى فيه سحرا يبحث فى النفس كل معانى التقديس لللائكة ، ولعلك اذا قارنت بين نظرة العذراء إلى أسفل ، ونظرة الملاك إلى المشاهد ترى أنك لاتعرف أيهما أروع ، فأنت تحار فى هذه القوة الخارقة التى وهبها ليوناردو والتي لم تكن لغيره من معاصريه .

انظر إلى اللوحة نظرة محبطة ، واجتهد أن تتذوق ما فيها من تفاصيل ، وارجع بفكرك إلى علم النبات ، تر أن الفنان قد أعطانا فكرة رائعة عن جمال الاشجار من كبيرة وصغيرة ، تأمل أوراق الشجر تر أنها كلها مع صدقها فى محاكاة الطبيعة مختلفة التكوين والشكل ، وهذا دليل على التفوق والاحاطة .

الصحف المصرية

(لة بنية)

منها حفلة استقبال يقيمها رئيس الجمهورية للندوبين ، وحفلة ساهرة تقام في الكوميدي فرانسيز ، وزيارات لمعالم باريس وفرساي ، وحضور اللوار ، ومعرض باريس الدولي . ويشمل برنامج العمل فضلاً عن بحث الاقتراحات المختلفة مناقشة عدة مسائل أدبية هامة منها :

- (١) هل يوجد أسلوب معاصر للأدب العالمي ؟
- (٢) كيف يمكن التوصل إلى جعل الثقافة عالمية بغير طريق الترجمة ؟
- (٣) وكيف يمكن تنظيم التبادل في مسألة العقد الأدبي بين مختلف الأمم وإنشاء نقد أدبي دولي ؟
- (٤) الوسائل التي يمكن بحثها للتعبير المشترك في أدب الجيل الحاضر والمستقبل .
- (٥) مستقبل الشعر في العالم الحديث .

وسينزل المندوبون ضيوفاً على لجنة تنظيم المؤتمر أيام المؤتمر الرسمية . وقد سبق أن أشرنا إلى أن نادى القلم المصرى سيشارك في هذا المؤتمر على يد وفد من أعضائه برئاسة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب ، وقد ينتهز بمثل مصر هذه الفرصة فيقدمون الدعوة إلى لجنة تنظيم المؤتمر بعقد أحد المؤتمرات القريبة المقبلة لنوادى القلم بمدينة القاهرة ؛ على أن ذلك لا يمكن أن يكون قبل سنة ١٩٤٠ .

استعمار المناطق القطبية

لفتت روسيا السوفياتية في الأعوام الأخيرة أنظار العالم بالجهود الجبارة التي تقوم بها في سبيل إصلاح المناطق القطبية واستثمارها وتعميرها . والمناطق القطبية كما هو معروف بسائط شاسعة لا نهائية من الجليد ، وتكاد تكون قفراً من البشر . وروسيا تسيطر على مساحات عظيمة من هذه المناطق سواء في سيبيريا أو في الجزر الشمالية القطبية مثل نوفازمبلا وستيزبرجن . وقد صدر أخيراً كتاب عجيب عن الجهود التي تبذلها روسيا لتعمير هذه الوهاد الثلجية الهائلة ، وفيه بحوث هامة عن المعهد القطبي ، الذي أقامته الحكومة الروسية في لتجراد وزودته بجمع عظيم من العلماء في مختلف الفروع التي

تعاون على تحقيق هذه المهمة الاستعمارية العظيمة مثل الجيولوجيا والمترولوجيا والكيمياء وعلوم المحيط والبيولوجيا والتحليلات وغيرها . وعدد هؤلاء الاختصاصيين ثلاثمائة وخمسون ، وهم يبذلون جهوداً تدعو إلى الإعجاب في الكشف عن أسرار هذه الأحياء القطبية . وعنوان الكتاب المذكور هو : « أربعون الفأ ضد المحيط المتجمد » ، ومؤلفه كاتب خبير بشئون روسيا هو د . سمولكا . وقد استعرض المؤلف جهود روسيا في سبيل اكتشاف المناطق القطبية وتعميرها ، وذكر أن هذه المهمة تكاد تكون اليوم وفقاً على روسيا ؛ وروسيا تقوم فيها بأعظم قسط من الجهود الإنسانية وربما كانت جهودها في ذلك أعظم ما قدمته في العصر الأخير للعالم وللإنسانية . ويصف الكاتب أعاجيب المعهد القطبي ، وجهود علمائه وما وفقوا إليه من الاكتشافات العلية والعمرائية ، كل ذلك في فصول قوية شائقة بما تحويه من مختلف المعلومات الغريبة عن الحياة في تلك الأصقاع المتجمدة

جوائز أدبية أمريكية

من أبناء نيويورك أن جائزة الأدب الكبرى المعروفة بجائزة « بولتزر » ، وقدرها ألف دولار (مائتا جنيه) ، وهي المخصصة لأحسن رواية ، تصدر في العام ، قد منحت بواسطة جامعة كولومبيا التي تتولى أمرها ، إلى الكاتبة الأمريكية مس مارجريت متشل من أجل روايتها « ذهبت مع الريح » ، *Gone with the wind* التي بيع منها في أقل من عام نحو مليون ونصف نسخة

ومنحت نفس الجائزة عن أحسن قطعة مسرحية تصدر في العام إلى الكاتبين المسرحيين جورج كاوفمان وموسى هارت من أجل مسرحيتهما « لن تستطيع أخذها معك » ، وهي تمثل الآن على جميع المسارح الأمريكية الكبرى ومنحت جائزة « بولتزر » أيضاً عن الصحافة المسترجون ومن محرر جريدة « شمس بليمور » ، لأنه نشر أبداع مقال إفتاحي في سنة ١٩٣٦

يستخلص أوضح النتائج التي توصل إليها الأسانيد التاريخية والجغرافية والأثرية عن موقع طروادة، وعن مصارها منذ التاريخ القديم

الخطابات الغفل

ذاع في العهد الأخير في فرنسا توجيه الخطابات القاذرة الغفل من التوقيع، وضبطت لهذه الخطابات عدة وقائع رنانة؛ وكتب الكتاب والعلماء بهذه المناسبة يبحثون عن أعراض هذه العلة وأسبابها؛ ويقول الدكتور لوكار في مقال نشرته جريدة الجورنال الباريسية إن كتابة الخطابات الغفل ترجع إلى بواعث ثلاثة هي المصلحة والانتقام والحسد، فهذه البواعث الثلاثة هي التي تحمل الشخص العاقل على عدم توقيع ما يكتبه. بيد أن هناك أشخاصا تنتابهم أزمات عقلية وعصية معينة فيكتبون مئات الخطابات الغفل، وهنا تبدأ أعراض المرض ذلك لأن شهوة الخطابات الغفل مرض حقيقي؛ وربما كانت أهم أسبابه راجعة إلى عوامل جنسية، ومن النادر أن تجد الخطابات الغفل مكتوبة باتزان أولغة محتشمة، فهي في الغالب مصوغة في لهجة فاحشة. ولكنها تدل أيضا على جهل كاتبها بهذه الصيغ القاذرة لأنهم في الواقع ينتمون إلى بيئة ريفية. وكثير من العذارى اللاتي تقدمن في السن، أو أرهقهن الضغط الاجتماعي يجدن متنفسا في كتابة الخطابات الغفل؛ وقلما تصدر هذه الخطابات من شخص - رجل أو امرأة - يتمتع بحياة جنسية منتظمة

ومن خواص كاتب الخطاب الغفل ألا يعترف أبدا. وكثير من النساء يضبطن وهن متلبسات بالكتابة ومع ذلك ينكرن عملهن. والخلاصة أن شهوة الخطابات الغفل مرض؛ والمصاب بها يمكن أن يعتبر شخصا غير عادي إذا لم يكن مجنوناً في الواقع

مع التناسلات

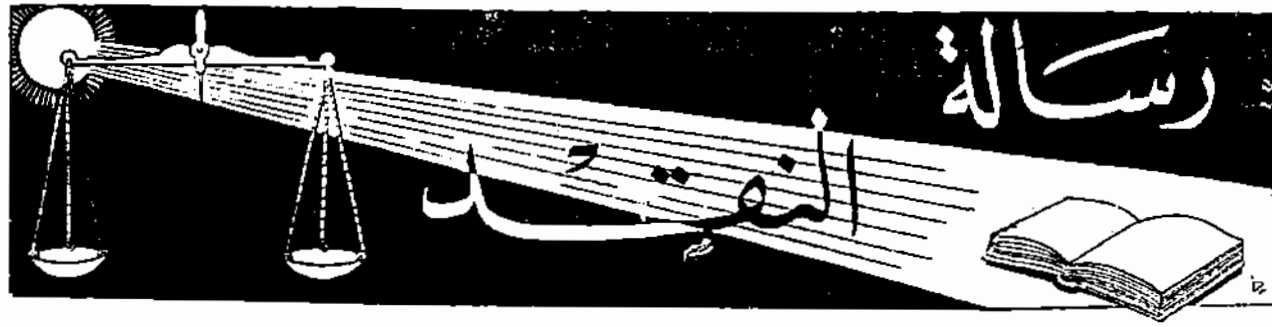
معهد التناسلات تأسس الدكتور ماجنوس في مستشفى فريز في أمستردام سنة ١٨٥٨م. وكان يمارس فيه جميع الاضطرابات والنزاعات التناسلية والعقم عند الرجال والنساء. وتجدير الشباب والتجنوغة المبكرة وبيع البنات. من سرعة الصدف طبقات لأصناف الطرق العلمية والعبارة من ١٠-١٠٠ سنة ٦-٦٠ .. ملاحظة: يمكن إعطاء فصلا في الرسالة للتحقيق بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيز أعلى جمعية الأبحاث البيكولوجية المختصة على ١٤١ سنة وأن الذي يمكن المصطلح عليها كثير ٥ فروع

بحث عن البغاء

صدر أخيراً في فرنسا كتاب اجتماعي خطير عنوانه وبحث عن البغاء، Enquête sur la prostitution بقلم الكاتب الكبير جان جوسى فرايا، وهو عبارة عن صور قوية مؤثرة مماشيد الكاتب وبحث بنفسه سواء في أماكن البغاء العلنية، أو في الشارع، أو في المنازل السرية الرفيعة، أو في أوكار البؤس المروعة. وقد قضى الكاتب في بحثه أعواماً يحوس فيها أعماق باريس، ويحقق حالها الاجتماعية الخطيرة، وهو يتوجه فيه بالدعوة الحارة إلى الحكومة والبرلمان والأمة الفرنسية أن يعملوا جميعاً لانقاذ الإنسانية من هذا الوباء الاجتماعي الجارف وقد أثار الكتاب منذ ظهوره كثيراً من الاهتمام.

موقع طروادة

لبثت الياذة هو ميروس حتى العصر الحديث تعتبر قطعة من الخيال المحض، ولبثت مدينته طروادة التي اتخذت مسرحاً لحوادث الإلياذة مدينته خيالية؛ ولكن مباحث العلامة الأثرى شليمان في منطقة «حصارلك» في غرب الأناضول كشفت عن موقع مدينة مسورة، عليها آثار الغنى والفخامة، ودلائل تدل على أنها أحرقت؛ فقبل عندئذ إن هذه ليست سوى مدينة طروادة، وأن هو ميروس حينما تحدث عن حصار طروادة حديثه الرائع لم يكن يروي سوى واقعة تاريخية؛ وحاول كثير من العلماء أن يطبقوا أوصاف الإلياذة على المدينة المكتشفة؛ بيد أن الحفر المتواصل في هذه المنطقة كشف عن سبع مدائن قديمة. فأيهما في الواقع طروادة؟ ولاحظ بعض العلماء من جهة أخرى أن هذه المدن المتواضعة لا تتناسب مع الأوصاف الرائعة التي يسبقها الشاعر على «طروادة». وقد ظهر أخيراً كتاب بالفرنسية عنوانه «الجدل حول طروادة» Controverses autour de Troie بقلم العلامة الفرنسي شارل فلابي، يستعرض فيه مختلف الفروض والنظريات التي تنطبق على طروادة وظروفها. ذلك أن المعروف أن طروادة قد خربت وأبيدت، فكيف يرجو المنقبون أن يقفروا على أطلالها كاملة؟ ومن جهة أخرى فليس من المحقق أن هو ميروس كتب عن علم دقيق بالجغرافيا والمواقع، وقد يكون للخيال شأن كبير في الأوصاف التي يقدمها إلينا عن المدينة الشهيرة، ويحاول المؤلف أن يناقش هذه الآراء كلها، وأن



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضي بيير كربتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

للأستاذ النعيمي

— ٥ —

قد ترجمه الأستاذ صروف بقوله : انها كانت عملاً ذا شأن خطير ، أما سبب هذا الخطر وهو طبيعتها وصفتها الرسمية فلم يعن المترجم ببيانها كما بينه المؤلف (٤) ومن العبارات التي أغفلها المترجم قول المؤلف في موقف اسماعيل من السير صمويل بيكر

His good faith cannot be successfully attacked, for his agent's field of operation was several thousand miles south of Cairo. In the territory over which he was appointed, the Englishman was lord and master.

وكل هذه معان لها قيمتها لم يذكرها المؤلف عبثاً ، وليس فيها شيء من الصعوبة ، ولكن الأستاذ حذفها كلها

(٥) وترجم الأستاذ عبارة Legitimate commerce بقوله التجارة المنظمة مع أن معناها التجارة المشروعة ؛ والفرق بين المعنيين كبير لأن النخاسة قد تكون تجارة منظمة . أما التجارة المشروعة أو المباحة فلا يمكن أن تشمل تجارة الرقيق

(٧) ثم لينظر القارئ معناه إلى هذه العبارة التي يصف بها المؤلف عمل المراجعين الذين جاموا لفحص حسابات اسماعيل

Auditors, as a rule, are as cold as fishes. The human equation means nothing to them. They have but one mandate. It is a mission of heartless scrutiny. Tangible assets and liabilities, real or potential, are the only things that interest them.

ولينظر بعد ذلك إلى ترجمة الأستاذ صروف التي يقول فيها : إن فاحصي الحسابات (المراجعون) لا يهمهم عادة إلا فحص ما يقدم اليهم من سجلات ودقات ومن مستندات الديون التي هي للغير أو على الغير ،

ونحن إذا تجاوزنا عن أسلوب هذه العبارة نرى أنها لم تؤد إلا جزءاً يسيراً من معاني العبارة الانجليزية . قد يكون في هذه العبارة الانجليزية شيء من الصعوبة ولكن هذه الصعوبة هي محك القدرة على الترجمة وإلى الأستاذ ترجمة لهذه القطعة جامعة لكل ما فيها من المعاني :

نستطيع أن نفهم أن المترجم قد يخطئ في عبارة صعبة غامضة المعنى ، ولكن الذي لا نستطيع أن نفهمه أن يعمد المترجم إلى عبارة سهلة واضحة المعنى فيستبدل بمعناها معنى آخر من عنده بعيد كل البعد عن المعنى المراد

(١) أنظر إلى قول المؤلف عن موقف اسماعيل من السخرة Ismail's attitude towards the corvée was not a fleeting fancy.

فهل في هذه العبارة غموض يحجز للأستاذ صروف أن يترجمها بقوله : إن موقف اسماعيل بأزاء السخرة لم يكن يقصد منه الظاهر ، من أين جاء الأستاذ بالظاهر . إن المعنى الذي لا يخفى على إنسان هو لم يقف اسماعيل موقفه من السخرة لفكرة عارضة زائلة ،

(٢) ومن هذا النوع أيضاً العبارة الآتية التي تبين الأثر الذي انطبع في ذهن اسماعيل حين رأى صمويل بيكر لأول مرة

Ismail became impressed with his vigorous personality.

والتي ترجمها الأستاذ صروف بهذه العبارة الغامضة : وقع عنده موقفاً حسناً ، فأين ذلك من قول المؤلف أن اسماعيل قد أعجب بشخصيته القوية أو أثرت فيه شخصيته القوية

(٣) ولا يختلف عن ذلك ما ترجم به الأستاذ صروف وصف المؤلف لحمة بيكر الذي يقول فيه

The official nature and character of which made it an undertaking of considerable importance

ذكر المؤلف ذلك في الفقرة السابقة لهذه العبارة المنقولة من كتاب السير صمويل .

(٩) هل سمع القارىء أن كلمة :

Unsuspecting villages

معناها « القرية المقصودة » هذا ما ترجمها به الاستاذ صروف بدل القرية الآمنة أو الغافلة عما يراد بها .

(١٠) وقال المؤلف عن العقد الذى كان بين يكر واسماعيل باشا

It appears that he drafted the contract which defines his relations with the Viceroy.

أليس المعنى الذى يفهمه كل إنسان من هذه العبارة هو :

ويلوح أن (السير صمويل يكر) هو الذى كتب صورة العقد الذى يحدد علاقته بالوالى . لكن الاستاذ لم يفهمها كذلك بدليل أنه قال فى ترجمتها « ويظهر أنه كان بينه وبين الحديرو عقد لتنظيم علاقته به » وهذا ما لم يقله المؤلف ، فان وجود العقد لا شك فيه كما قال ذلك بصريح العبارة بعد سطر واحد من هذا الكلام ولكن الذى لم يثاكد منه هو أن كاتب هذا العقد هو السير صمويل يكر .

(١١) وقال المؤلف يصف صعوبة نقل المؤن والذخائر

والسفن من مصر إلى السودان

It had to be delivered at so great a distance and transported by sea-going steamers, river boats and camel back.

فترجم الاستاذ صروف ذلك بقوله « كان يجب نقلها مسافات شامعة جدا ، وأين بقية المعانى ؟ أين طرق نقلها - البواخر البحرية والقوارب النهرية وظهور الابل ؟

نكتفى بهذه الأغلاط من الفصل الخامس لننتقل إلى الفصل

السادس لنبدأ بهذه الغلطة التى لا يصح أن يقع فيها مترجم .

(١) قال المؤلف عن الرجال الذين صحبوا يكر فى رحلته

It had for its heroes the two Bakers uncle and nephew, Abdel Kader, the Muslim, Mansur the Copt and every man of that élite corps etc.

أيدرى القارىء ماذا قال الاستاذ صروف ؟ قال : « أبطالها

السير صمويل يكر نفسه وابن أخيه وأتباعه عبد القادر ومسلم ومنصور ورجل قبلى وطائفة من الاتباع والانصار » . إننا كلما أمعنا فى قراءة الكتاب زادت شكوكنا فى أن الاستاذ صروف

قد ترجمه بنفسه أو اطلع على الترجمة ، وإلا فهل كان يخفى عليه أن معنى العبارة هو : « أبطالها السير صمويل يكر وابن أخيه وعبد القادر المسلم ومنصور القبطى وكل رجل من هذه الطائفة المصطفاه » : قد يظن الاستاذ صروف أن الشولات تجيز له أن

« إن المحاسبين فى العادة لا قلب لهم ، وليس لهم شان باحساس الناس وعواطفهم ، ولا يضعون نصب أعينهم إلا غرضا واحدا هو البحث والتدقيق ، لا تأخذهم فيه هواة . وكل ما يعنون به هو ما للشخص وما عليه سواء أكان ذلك حقيقة حاضرة أم تقديرا مستقبلا

(٧) هل يصدق القارىء أن الاستاذ صروف قد ترجم

Before he left for the Sudan on his first mission

بقوله « قبل مغادرته السودان فى مهمته الأولى » وهل يمكن أن لا يعرف الاستاذ صروف أن Left for أن معناها « سافر إلى » لا غادر ؟ وابن كانت مهمة غردون الأولى التى سافر إليها من السودان ؟

إننا لانكاد نصدق أن الاستاذ صروف قد ترجم هذه العبارة أو اطلع عليها وعلى الأصل بعد الترجمة

قال المؤلف فى الأموال التى أنفقها إسماعيل فى حرب الرقيق

Even if such considerations as these may perhaps tend to warrant the blotting out from the « moral principle » balance sheet of the money spent by Ismail etc.

فقلب الاستاذ صروف معنى هذه العبارة إذ قال : « ومع أن الاعتبارات المار ذكرها قد تسوغ انفاق إسماعيل للبال الخ » مع أن الترجمة الصحيحة هى : وحتى لو كانت هذه الاعتبارات كلها تبرر اغفال الأموال التى أنفقها إسماعيل وتيجن محوها من سجل أعماله الأدبية الخ ، وما أكبر الفرق بين المعنيين !

(٨) وقال المؤلف فى تقديره الأموال التى أنفقها إسماعيل

فى محاربة النخاسة

In order to estimate what this X may possibly amount to, it is well to recall etc.

فلم ير الاستاذ صروف أن يترجم هذه العبارة بأكثر من قوله « ولا يعزب عن البال » والاستاذ مولع بمثل هذه العبارة المبهمة فقد تكررت هى ولفظ « وعليه » أكثر من مرة بدل جمل طويلة ذات معان كثيرة فى الأصل الانجليزى

(١٠) ويقول القاضى كريتس إن قناصل أوروبا وأمريكا كانوا يجمعون تجارة الرقيق ، وإن السفن التى كانت تحمل العبيد كانت ترفع الراية الأمريكية ثم يقول بعد ذلك :

Thus secured from interference by the Consuls of Europe and America etc.

فقال الاستاذ صروف فى ترجمتها إنهم كانوا بأمان من تعرض قناصل أوروبا وأمريكا ، مع أن المعنى الحقيقى أن « قناصل أوروبا وأمريكا كانوا يجمعون هؤلاء التجار من أن يتعرض لهم أحد .

يفهمها كما فهمها ولكن ذلك ظن غير صحيح فبعد القادر هو المسلم ومنصور هو القبطي مهما وضع بينهما من شولات (١) وقال المؤلف في هذا المعنى نفسه :

Its brigands become saints.

فقال المترجم : لصوصها الذين تحولوا إلى الشهامة، وهي عبارة لا معنى لها ولا تدرى لم لم يترجمها الأستاذ كما هي ليفهمها الناس فيقول : لصوصها الذين عدوا (أو أصبحوا) فيما بعد قديسين ، (٣) وقال المؤلف يصف حفلة رفع العلم المصري على البلاد التي فتحها يكر

The troops formed three sides of a square.

فقال الأستاذ صروف : ووقف الجنود بشكل ثلاث أضلاع من أضلاع مربع مستطيل ، ولا تدرى ما هو هذا المربع المستطيل ولا من أين جاء الأستاذ صروف بلفظ مستطيل التي أفسدت المعنى (٣) وقال اسماعيل في عهده إلى السير صمويل يكر وهو ذاهب لمحاربة الرق

You will in a short time get the natives to replace an illegitimate interest by a legitimate one. فقال الأستاذ صروف في ترجمة الجملة المنقولة عن وثيقة رسمية عظيمة القيمة : فتجذب إليك القبائل ، فإن هذا من معناها الحقيقي وهو : أنك لا تلبث أن ترى الأهالي يستبدلون بعملهم المحرم عملاً مشروعاً ،

(٤) وقال المؤلف عن غردون واسماعيل

Two English gentlemen who would not give their friendship and confidence to a bad man.

ومعنى ذلك أنهما : من أشراف الإنجليز الذين يضمنون بصداقتهما وثقتهم على أشرار الناس ، ولكن الأستاذ صروف يترجم ذلك بقوله : وما كانا ليفرطاً في صداقته ،

(٤) هل معنى Great profits : بعض الأرباح ، أو معناها أرباحاً عظيمة

(٥) وقال المؤلف في معرض كلامه عن الضباط الأمريكيين الذين استخدمهم اسماعيل

Blue book material cannot be found to bear out these statements.

وهي عبارة معناها : لا توجد كتاب زرقاء تؤيده هذه الأقوال ولكن المترجم لسبب ما ترك هذه العبارة من غير ترجمة

(٦) وقال اسماعيل في خطابه إلى رئيس الضباط الأمريكيين

I count upon your discretion, devotion and zeal.

معناها أني أعتد على حكمتك وإخلاصك وغيرةك ، ولكن

الأستاذ ظن أن discretion مشتقة من لفظ secret فترجم العبارة كلها بقوله : « إني أعتد على حكمتك وإخلاصكم ومراعاتكم لشروط الكتان » فقير بذلك المعنى وأفسد الأسلوب

(٧) وقال المؤلف يعلق على تعيين الجنرال استون رئيساً لمينة أركان حرب الجيش المصري

This designation meant more than the . . .

وهي عبارة طويلة ترجمتها بالضبط : « وكان لهذا التعيين معنى أبعد من مجرد : إختيار مت ، ولورنج ، وسبلي لجيش الوالي كان يحوى كثيراً من الضباط الأجانب . لقد كان إختيار هذا الضابط الأمريكي لذلك المنصب ثم إختيار عدد كبير من بني وطنه معه ذا معنى خاص . كان إيدانا بانقضاء عهد السيادة الفرنسية على مصر ولم يكن معناه أن إنجلترا سكسونيا قد خلف غالباً (فرنسا) أو أن الصقلي والتيتونى قد ضعف أمرهما معا . لم يكن معناه ذلك بل كان معناه أن عهداً جديداً قد طلع على مصر وأن إسماعيل قد جبر بلادهم من القيود الأجنبية واعترّف أن لا يكون لأحد سلطان عليه : نعم إنه استعان بالأمريكيين ولكن أحداً لا يجهل أن الولايات المتحدة لم يكن لها مطامع إستعمارية في مصر أو في إفريقية

ثم انظر بعد ذلك إلى ترجمة الأستاذ : « وكان لهذا التعيين مغزى أبعد من تعيين سائر الضباط الأجانب في جيش الخديو إذ كان نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية ويده عهد جديد تتمتع فيه مصر باستقلالها ويصبح فيه الخديو سيد نفسه . وما أعان على تحقيق ذلك ما يعرفه الخاص والعام من أن الولايات المتحدة كانت منزوعة عن كل غرض إستعماري أو غاية أميريأ إستية في مصر وأفريقية . » لو أن الأستاذ كان يلخص الكتاب لجازله أن يقول هذا القول على ما فيه من تغيير واختلاف عن قول المؤلف : أما الترجمة فلا يجوز فيها هذا . وقد حذفنا أصل هذه الفقرة الانجليزية لانه يشغل عموداً كاملاً من الرسالة فاليرجع إليه القارىء إن شاء وتؤكد له أنه يظابق ترجمتنا مطابقة تامة

(٨) هل يصدق القارىء أن الأستاذ صروف يقول : « وفي وسعنا أن نخمن على تلك الأعمال ، ترجمة لقول المؤلف

But the total of this outlay can be surmised.

الذى معناه : « أننا نستطيع أن نتصور مجموع هذه المبالغ بوجه التقريب الخ ،

ولنكتشف بهذا القدر اليوم وموعداً العدد القادم إن شاء الله الغنى

(بقية المنشور على صفحة ٨٠٢)

بعنوانه ، ولكنى أعتقد أن عنوان الكتاب يوبه وينظمه ، ويلائم بين أجزائه ويشيع فيه هذه الموسيقى التى تحبب إلى النفوس وتغرى به عقول القراء . وأول ما يجب من العناية بالعنوان فيما أرى أن نذهب به مذهب القدماء الصالحين ، فلا نرسله إرسالاً ولكن نقيده بالسجع ، لأن إرسال الأشياء فى غير قيد يمكنها من أن تهيم على وجهها وتطلق فى غير وجه ، وتكون كالجراد هذا الذى لا يستقر على سنبلة أو كوز الا ريثما ينتقل إلى سنبلة أو كوز . فإذا أردت يا صديق أن تضع كتاباً فلا تفكر فى موضوعه ولا فى أجزائه ولا فى أبوابه وفصوله ولا فى غاياته وأغراضه ، فهذا كله بأتى وحده دون أن تدعوه أو تلج فى دعائه بالعناية أو التفكير ، إنما الشئ الذى يجب أن تقف عليه جهدك ، وتفق فيه رقتك ، وتستنفد فيه قوتك ، هو العنوان ، والعنوان المقيد المسجوع . ويشهد بذلك تراثنا الأديب العظيم الذى إن أحصيته وجدت أكثره قد قيد بهذه العنوانات المسجوعة ؛ ويشهد بذلك صديقنا الزيات فقد كانت لنا معه جولات قيمة خصة أيام الشباب فى هذا الفن الذى لا يحسنه إلا قلة ؛ ويشهد بذلك صديقنا محمود حسن زيات الذى كان أستاذنا فى هذا الفن العجيب . لذلك لم أكد أختار هذا الموضوع للحديث حتى فكرت قبل كل شئ فى عنوان الكتاب الذى ألفت ولم تدبني منه إلا بطرف يسير قصير . وقد سميت هذا الكتاب كتاب الإرشاد إلى فلسفة الجراد . وأخص ما يمتاز به العنوان البارح أن يراه القارئ فيظنه واضحاً جلياً ، فإذا رآه الاختصاصى تبين فيه ألواناً من الغموض وفنونا من الغرابة تحتاج إلى الشرح والتفسير ، وإلى الحاشية والتقرير . ولا شك فى أن المثقفين من قراء الرسالة سيرون هذا العنوان سهلاً سائفاً وقریباً دانياً . ولكن أصحاب البيان والراسخين فى علم التأويل سيلاحظون أن كلمة الفلسفة هنا قد استعملت فى غير معناها الحقيقى المعروف ؛ فليس للجراد فلسفة ؛ والدليل على ذلك أنك تريد أن تعلم الفلسفة ، وإذن فقد يقال إن فى هذه الكلمة مجازاً مرسلان لأن المؤلف أراد فلسفة الجراد باعتبار ما سيكون ، لأن الجراد إذا قرأ كتابك إن شاء الله تهذب وتادب وصارت له فلسفة . ولكن ليس هذا هو الذى أراد المؤلف ، فقد يكون أراد شيئاً آخر ، وهو أن للجراد الآن فلسفة جرادية يراد أن يعدل عنها إلى الفلسفة الإنسانية . وقد يكون المؤلف أراد بالفلسفة المصدر أى جعل الجراد فيلسوفاً يقال فلسفت الشئ جعلته فلسفياً ، وفلسفت الإنسان جعلته من أصحاب الفلسفة ، وفلسفت الجراد جعلته فيلسوفاً . ولا تبحث عن هذه الكلمة فى المعاجم العربية القديمة ، فقد لا تظفر فى هذه المعاجم بشئ ، ولكن ابحث عن هذه الكلمة عند الفلاسفة فى كلية الآداب فهم الذين يلائمون

بين القديم والجديد ، وهم الذين يرجع إليهم فى مثل هذه المشكلات . أريت أن كلمة واحدة من هذا العنوان قد أثارت كل هذه الأبحاث التى أوامت إليها إيماء ، فكيف بكلماته الأخرى إذا لوحظت مفرقة وإذا لوحظت بمجموعة . والشئ الذى ليس فيه شك هو أن هذا العنوان سيضمن لك شيئين : الأول أنه إعلان سيعجب القراء ويروقهم ، بل سيبرهم ويروعونهم ، وسيدعوم إلى شراء الكتاب والترويج له عند الأصحاب والأصدقاء . ولعله يروق فى وزارة المعارف وأنت أعلم بما وراء ذلك من المنافع التى لا تحصى . والشئ الثانى أن هذا العنوان سيرسم لك برنامج الكتاب ويمكنك من تبويه فى غير مشقة ولا عسر . ولا تكلف نفسك تروية ولا تفكيراً ، ولكن خذ كلمات هذا العنوان واجعل منها عنوانات لأبحاثك فسترى أن كتابك قد يوب باذن الله . فليكن موضوع الباب الأول إذن هو البحث عن كلمة الكتاب مم اشتقت ، ومن أين أخذت ، وما معانيها المختلفة التى دلت عليها فى العصور المختلفة والبيئات المتباينة . ولا تخف أن يقال لك إن هذا استطراد وإطالة وتزديد فى القول ، فلو لا الاستطراد والإطالة والتزديد فى القول لذهب أكثر العلم وأكثرا الأدب على الأقل . ولك فى اجاظر أسوة حسنة فهو قد أطال فى ذكر الكتاب حين أراد أن يؤلف فى الحيوان . وقد ألف أرسططاليس من قبله فى هذا الموضوع فأثر الإيجاز واجتنب الاستطراد وكانت النتيجة أن الناس جميعاً يقرأون كتاب الجاحظ وليس منهم من ينظر فى كتاب أرسططاليس ، لأن كتاب أرسططاليس علم وقد غير علم الحيوان ، وكتاب الجاحظ أدب وقلما يتغير الأدب ، ولا سيما حين يمتاز بالإطالة والاستطراد . ونحن فى كلية الآداب لا نبدأ دروس الأدب حتى نعلم الشبان علماً كثيراً عن لفظ الأدب ومعانيه ، فسر سيرتنا ولا بأس عليك . وإذا فرغت من هذه الأبحاث القيمة التى لا تنصل ولا يجب أن تنصل بالموضوع ، فقد بعد ذلك فى بحث يكون صلة بينها وبين الموضوع وهو إضافة الكتاب إلى الإرشاد والصلة بينه وبين الجراد . وكيف تختلف الكتب باختلاف أصناف الناس ، وكيف تختلف الكتب باختلاف أنواع الحيوان ، لا من جهة موضوعها وأسلوبها حسب ، بل من جهة أحجامها وقطعها أيضاً ومن جهة مادتها التى تطبع وتباع فيها ، ومن جهة الخط والحروف التى تستخدم فى هذا الطبع ؛ فانواع الطبع تختلف باختلاف القراء فى القدرة والذوق ، وكذلك الأحجام ، وكذلك مادة الورق والغلاف ؛ ويجب أن يطرد هذا بالقياس إلى الحيوان والقياس إلى الجراد خاصة ، وواضح جداً أن هذا سيذهب بك فى ألوان من البحث الطريف الذى لم تسبق إليه ؛ فإذا فسرت آراءك ببعض الصور فتى بأنك ستحدث فى عالم التأليف حدثاً عظيماً ، وثق بأنك ستفتح للجنة الترجمة التأليف والنشر

أبواباً لن تردد في ولوجها ولكننا لن نعرف كيف تخرج منها . ثم دع هذا الباب إلى الباب الثاني واجعل عنوانه الارشاد واسلك في هذا الباب مسلكك في الباب الاول ، فخضع لفظ الارشاد ومعانيه لكل هذه التجارب التي اخضعت لها لفظ الكتاب ومعانيه ، ثم ابحث عن ارشاد الجراد كيف يكون فاعقد فصلاً تصور فيه مذهب الذين يرون أن الجراد يفهم بالعقل وبين كيف يكون إرشاده على هذا النحو ، واعقد فصلاً آخر تصور فيه رأى المحدثين الذين يرون أن الجراد يفهم بالغم والبطن وبين فيه كيف يكون إرشاد الجراد من طريق الأفواه والبطون . والناس كما تعلم يختلفون في هذا الموضوع ، ومنهم من يرى أن تكتب أصول الفلسفة على أوراق الأشجار والنجوم والزرع التي يحبها الجراد ويميل إلى أكلها ويقولون إن الجراد إذا أكل هذه الأوراق المفلسفة فهم العلم ووعي الحكمة وأصبح فيلسوفاً باذن الله .

ثم اجعل الكلمة الثالثة عنواناً للباب الثالث وهي إلى . ولا بد من أن تبحث عن السبب في أن الارشاد يتعدى إلى ولا يتعدى غيرها من حروف الجر ؟ ولم لا يقال كتاب الارشاد لفلسفة أو بفلسفة أو في فلسفة أو من فلسفة أو عن فلسفة أو على فلسفة الجراد . وواضح أن كل حرف من هذه الأحرف سيحتاج إلى فصل مطول جداً وستجد في كتاب المغني لابن هشام ما يعينك على تحرير هذه الفصول . ولا تخف من هذه الإطالة فإنها هي التي ستفعلك وتروج كتابك عند أصدقائنا الأزهرين . ثم إذا أردت أن يروج كتابك عند الجامعيين وفي كلية الادب خاصة فاحسن عنايتك بالباب الرابع وهو باب الفلسفة وهو اللب الاول للكتاب ، لأن الأبواب التي سبقت كانت قشوراً ولكنها كانت قشوراً لابد منها ، فكل لب يحتاج إلى قشر وإلا لما كان لباً . فابحث الآن عن الفلسفة وعن أصل لفظها واحذر أن تقول إنه يوناني فقد يكون هذا مطابقاً للحق ، ولكن الحق في هذه الأيام لا يغني عن البدع شيئاً . والبدع في هذه الأيام أن تخرج الأشياء عن أصولها وتوضع في غير مواضعها وترد إلى غير مصادرها . والظاهر أن كلمة الفلسفة ترجع إلى أصل سامي عربي ، وما أشك في أنك ستجد في شعر قصاعة بيتا يثبت لك وللناس جميعاً أن العرب قد عرفوا الفلسفة واستعملوا لفظها قبل أن يولد سقراط . ولا بد أن تعرض معاني الفلسفة ومذاهب الفلاسفة في العصور المختلفة وتبحث عن أيها أدنى إلى الجراد ، إلى عقله إن كنت من أنصار العقل ، وإلى بطنه إن كنت من أنصار البطون . فإذا فرغت من هذا البحث الهائل الخيف وصلت إلى الباب الأخير الذي هو نتيجة النتائج وجوهر الجواهر وأصل الأصول وفصل الفصول وخلاصة الكتاب ولب الأبواب وهو باب الجراد الذي وجه إليه الارشاد .

وهذا الباب معقد بطبعه فلا بد من أن تبحث عن لفظ الجراد من أين جاء وإلى أين انتهى ، ولا بد من أن تبحث عن منزلة الجراد بين أنواع الحيوان ، ولا بد من أن تبحث عن محاسنه وعيوبه ، ثم لا بد من أن تبحث عن عقله وما يكونه من الملكات وعن بطنه وما يمتاز به من الخصال في الاستيعاب والهضم وتصريف العلم والفلسفة إلى أجزاء الجسم وأطرافه والوصول آخر الأمر إلى أن يسير الجراد سيرة فلسفية صالحة . فإذا وصلت إلى هذا الموضع من كتابك وخيل إليك أنك قد انتهيت به إلى غايته وأفدت العلم فائدة محققة فممكنك من نيل الدكتوراه من كلية الاداب فعد إلى منهج ديكارت وألغ هذا الذي كتبتك كله إلغاه ، وافترض أنك لم تكتب شيئاً ولم تعلم شيئاً واستأنف البحث من جديد فسترى أنك قد أضعت وقتك في غير قنع ، وأنفقت جهدك في غير طائل ، واستهلكك راحتك وورقتك وحبرك وأقلامك في غير غناء ، لأن الجراد ليس في حاجة إلى أن يتعلم الفلسفة الانسانية الآن ، فقد تعلمها منذ عهد بعيد ؛ فهو إن كان ناهياً سالياً ومغيراً محارباً فقد أخذ ذلك عن الانسان . وهل زاد الانسان على أنه حيوان قوام حياته السلب والنهب والحرب ؟ وهو إن كان خفيفاً سريعاً متقللاً لا يستقر على حال من القلق فقد أخذ ذلك عن الانسان . وما أعلن أنك تستطيع أن تلقى جرادة تجهل قول الشاعر القديم : « تنقل فلذات الهوى في التثقل » وهو إن كان مفتناً في الخفة والتثقل فقد أخذ هذا الاقتنان عن الانسان ، لانه يراقب الحضارة وتطورها ، ويراقب المبادئ وتلونها ، ويراقب اضطراب الناس في آرائهم وأهوائهم ومذاهبهم ومبادئهم ، ويراقب الضائر التي تباع ، والعقول التي تمتهن ، والحريات التي تزدرى ، والأصول التي تتخذ تجارة ووسيلة إلى الربح وتحقيق المنافع الدنيئة . وقد هم الجراد أن يقلد الانسان في هذا فادركته بقية من عقله أو من بطنه الذي تستقر فيه الفلسفة وامتنعت به عن أن ينحط إلى هذه القراءة الحقيرة الموبوءة التي انحط إليها الانسان الحديث ، فظل حيث هو يغير كريماً لياكل من ثمرات الأرض ما يستطيع أن يصل إليه ، ويعود كريماً إن استطاع العودة أو يموت كريماً بما يسقط عليه الانسان من ألوان الباس وضروب الفناء . وأنت حين تصل إلى هذه النتيجة بين اثنتين : فإن كنت من أنصار الفساد وعشاق الانحطاط الذين يرون أن الانسان قد وصل في هذا العصر إلى أرق أطوار الحضارة فاستأنف العمل لتبحث عن طريق نهدي بها الجراد إلى تقليد الانسان في الانحدار إلى هذه القراءة ، وإن كنت من المحافظين الذين يكرهون التطور الحديث ويمقتون نتاجه فادع الانسان إلى أن يتعلم فلسفة الجراد وضع في هذا كتاباً اسمه : (التيان عن تجرد الانسان) والتجرد هنا مشتق بالطبع من الجراد . وتقبل أيها الصديق العزيز المجهول أخلص تحياتي طم مبع